المخطوطات العربية فى يوغسلافيا

بقلم : الدكتور حسن قلشى

بمجيء الأتراك إلى الأراضى اليوغسلافية ، حدثت تغيرات جذرية فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للسكان ، وبالرغم من أن عملية نشر الإسلام وسيره فى مختلف مناطق بلادنا لا يزال غير مدروس دراسة كافية ، فإنه من المؤكد أنه بدأ فوراً بعد الغزو العثمانى ، ومن المؤكد أيضاً أن الناس كانوا يعتنقون الإسلام بمحض رغبتهم ، ولعل عدداً منهم اعتنق الإسلام من أجل الامتيازات التى كانت لمعتنقى الإسلام ، وليس بأى حال من الأحوال بالعنف والإجبار والظلم ، كما يؤكد بعض المؤرخين غير الموضوعيين .

وبالإضافة إلى هذا فقد كانت توجد من البداية عملية استيطان من جانب الأتراك المسلمين فى بعض المناطق ولاسيما فى المراكز الكبيرة حيث استوطنت الحاميات العسكرية ورجال الإدارة التركية ، وحول هذه المراكز الإسلامية تشكلت حياة جديدة وخاصة فى ميدانى الدين والثقافة وقد أدى هذا إلى إنشاء مختلف المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية : الجوامع والتكايا والمدارس الابتدائية التى كانت تسمى فى العهد العثمانى « مكتب » والمدارس الدينية والدنيوية الأخرى .

وبجانب هذه المؤسسات الدينية والاجتماعية أنشئت أيضاً المكتبات

التى كان الجزء الأكبر من محتوياتها مكوناً من المخطوطات العربية ، وكلما انتشر الإسلام ، انتشرت أيضاً وتزايدت هذه المؤسسات ، وازداد عدد الكتب والمدارس لدرجة أنه بعد مائة سنة أصبح عدد هذه المدارس كبيراً جداً وأصبح بعضها مشهوراً فى جميع أنحاء الجزء الأوروبى من تركيا .

من أجل هذا فإنه ليس من العجب أن يقال إن إنشاء أول المكتبات الشرقية فى البلاد اليوغسلافية الحالية ينبغى أن يبحث عنه فى الفترة الأولى للغزو التركى أى فى أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادى. وإنى أرى أنه من الممكن تقسيم مكتبات تلك الفترة إلى ثلاثة أنواع :

١ — المكتبات الخاصة .

٢ — مكتبات الجوامع والزوايا والتكايا .

٣ — مكتبات المدارس وهى فى الحقيقة أهم هذه المكتبات لأنها كانت من نوع ما مكتبات عامة لأن الأهالى كانوا يستطيعون استعارة الكتب منها لقراءتها أو نسخها . .

لقد أنشأ المكتبات الخاصة بعض العلماء والعظماء وهواة الكتب الذين كانوا يملكون الوسائل المادية الوافرة لشراء الكتب ، ومعروف أن الكتب كانت غالية الثمن لأنها كانت مكتوبة باليد ومزينة بزخارف مختلفة ، ولم يكن من النادر أن يقفوا هذه الكتب قبل موتهم أو أن يقفها ورثتهم بعد موتهم لبعض المدارس التى كبرت مكتباتها بهذه الطريقة وزاد عدد الكتب فيها .

وكانت المكتبات فى الجوامع مكونة غالباً من نسخ المصحف الشريف وأجزائها والكتب الدينية العامة . وكانت هذه الكتب تعطى للناس لقراءتها أو نسخها . .

وتتحدث الوثائق العديدة عن بعض العظماء الذين وقفوا وحبسوا لصالح هذه المكتبات أجمل نسخ القرآن وكثيراً من الكتب الأخرى .

وكان للتكايا أيضاً مكتباتها المكونة غالباً من المؤلفات الصوفية وسير مؤسسى الطرق الصوفية المختلفة ، وكثيراً ما نجد فيها مؤلفات الكلاسيكيين الفارسيين المشهورين مثل جلال الدين الرومى وفريد الدين العطار .

وكما ذكرنا من قبل ، فأهم هذه المكتبات هى التى كانت توجد بالمدارس لأنها كانت مزودة أحسن تزويد بحيث كانت تضم كتباً أكثر عدداً وأكثر فائدة من ناحية المضمون .

ومن رأيى ، بل وتؤكد هذا البحوث الأخيرة ، أنه كان يوجد فى يوغسلافيا فى ذلك الوقت حوالى ٢٠٠ مدرسة لها مكتباتها ، بالطبع بعضها صغير وبعضها كبير ، حسب العمر والظروف التى كانت توجد فيها المدرسة وحسب ثروة وقفها وقيمة مورثيها . . . . إلخ .

وكانت كل مكتبة من هذه المكتبات تحتوى على أشهر المؤلفات فى الفنون العلمية والدينية التى كانت تدرس فى ذلك الوقت .

وكانت المكتبات والمدارس تؤسس على نظام الأوقاف فقط .

وبما أن الوقف كان يعتبر عملا من أعمال الخير والإحسان وكانت الكتب من الأشياء التى يمكن وقفها ، فإن المكتبات العديدة التى كانت وقت إنشائها متواضعة كبرت بمرور الزمن بكتب جديدة ، وهكذا لا نجد الأغنياء والكبار وحدهم واقفين للكتب ولكن نجد الناس ذوى الثروة العادية أيضاً .

ومن وثائق الأوقاف المختلفة نرى أن المدرسين الذين كانوا يعنون بهذه

الكتب عندما تكون المكتبات صغيرة ، وأمين المكتبة أو كما كان يسمى حافظ الكتب عندما تكون المكتبات كبيرة .

ويذكر حافظ الكتب لأول مرة فى الأراضى اليوغسلافية فى وقفية عيسى بك سنة ١٤٦٩ حيث نرى أن عمل حافظ المكتبة كان حرفة ووظيفة ، فقد أصبح أمين المكتبة يحصل على مرتب يومى مقابل عمله .

وبناء على الوثائق التى وجدت حتى الآن ، فإنه من الممكن أن نؤكد أن أقدم مكتبة فى بلادنا كانت تلك التى أنشأها قبل سنة ١٤٥٥ ميلادية إسحق بك ضمن مدرسته فى سكوبيه وعند إنشائها ، كانت هذه المكتبة تحتوى على ثلاثين كتاباً من المؤلفات المختارة ، كلها باللغة العربية وأغلبها فى التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى ، وها هى أهم عناوين بعض المؤلفات التى تذكر فى وقفيته :

الكشاف للزمخشرى ، وتفسير البغوى ، ومشارق الأنوار ، وشرح المشارق لأكمل الدين ، والهداية فى الفقه ، وشرح الهداية لجوهر زاده ، وشرح مجمع البحرين لمصنفك ، وصدر الشريعة ، وفتاوى قاضى خان ، وكنية الفتاوى ، وشرح المفتاح للسيد الشريف ، والتلويح ، ومتن الكافية ، وشرح المواقف للسيد الشريف وغيرها .

ولا ريب فى أن عدد الكتب قد ازداد زيادة كبيرة لأننا نجد هذه المدرسة فى منتصف القرن السادس عشر قد أصبحت مدرسة مشهورة فى القسم الأوربى من تركيا .

وينبغى ألا يدهشنا أن جميع المؤلفات فى هذه المدرسة كانت باللغة العربية لأن اللغة العربية فى ذلك الوقت كانت تعتبر أرفع منزلة بالنسبة للغة التركية .

فهى لغة الإسلام والحضارة الإسلامية ، ولها اصطلاحاتها المقررة لا فى العلوم الدينية فحسب ، بل فى جميع الفنون العلمية . لقد كانت هى اللغة الدبلوماسية لكل العالم الإسلامى .

وفى القرون التى تلت القرن الخامس عشر ، تغير الحال قليلا ولكننا مع ذلك نجد أن ٧٥ ٪ من المخطوطات كانت باللغة العربية والباقى مقسم بين التركية والفارسية .

وقد أنشأ عيسى بك القائد والغازى التركى الشهير والذى يعتبر من أكبر الواقفين فى البلاد اليوغسلافية — أنشأ سنة ١٤٦٨ مكتبة من أكبر المكتبات عندنا . ونرى من وقفيته المصدق عليها فى المحكمة الشرعية سنة ١٤٦٩ أن مكتبته كانت تحتوى على أشهر مؤلفات علماء الإسلام ، وأن أكثر من ٣٣٠ كتاباً مجلداً تتحدث فى نفس الوقت عن الفروع العلمية والأدبية التى كانت تدرس فى ذلك الزمن ، وقد قسم الواقف نفسهُ عند تأليف وقفيته الكتب حسب الفروع العلمية كما يلى :

فى التفسير	٧٥ كتاباً	فى القراءات	٨ كتب
فى علم الحديث	٤٤	فى الوعظ	١٦
فى أصول الفقه	٢٣	فى الفقه	٥٥
فى الفتاوى	٢٦	فى علم الكلام	١٥
فى علم المعانى والبيان	١٦	فى الحكمة	٣
فى علم المنطق	٢	فى علم النحو	٨
فى علم الصرف	٢	فى الأدب	٤
فى القواميس	١٢	فى الطب	١٥

ولننظر الآن عناوين بعض المؤلفات التى تذكر فى هذه الوقفية والتى لم يبق منها فى يومنا هذا ولا كتاب واحد .

فى التفسير : الكشاف ، التفسير الكبير فى ١٦ مجلداً ، تفسير القاضى البيضاوى تفسير البغوى ، تفسير أبى الليث ، شرح الكشاف لمولانا سعيد الدين ، حاشية الكشاف للسيد الشريف ، جواهر القرآن ، الرد على الزمخشرى وغيرها . .

من كتب القراءات : الشاطبية ، جامع القرآن ، أحكام القرآن لأبى بكر الرازى .. إلخ .

من كتب الأحاديث : صحيح مسلم ، صحيح البخارى ، شرح البخارى للكرمانى، شرح البخارى للزركشى ، شرح مسلم ، جامع الأصول، المصابيح ، المشارق ، شرح المصابيح لزين العرب ، شرح المصابيح للقاضى البيضاوى ، شرح المشارق لابن فرشنه ، مختصر البخارى ، شرح المشارق لأكمل الدين..إلخ.

من كتب الوعظ : رسالة فى الوعظ ، تذكرة القرطبى ، مدارج السالكين مع البزدوى ، غاية السؤال فى الأدعية ، منهاج العارفين ، نصائح الشيخ زين الدين .. إلخ .

من كتب أصول الفقه والفقه : متن البزدوى ، التوضيح ، التلويح ، الهداية ، الكفاية فى شرح البداية ، شرح الهداية للخبازى ، التجديد فى اللغة ، شرح الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، درر البحار ، .. إلخ .

من كتب الفتاوى : مجمع الفتاوى ، كنية الفتاوى ، خزانة الفتاوى ، فتاوى قاضى خان ، الفتاوى البزازية . .. إلخ .

من كتب المعانى والبيان : شرح المفتاح للسيد الشريف ، متن المفتاح ، المطول ، حاشية المطول ، شرح إيضاح المعانى ... إلخ .

فى علم الكلام : شرح المواقف ، شرح المقاصد ، شرح التجريد ، شرح العقائد ، بحر الكلام ... إلخ .

فى كتب النحو والصرف والأدب والقواميس : مغنى اللبيب ، شرح الكافية .. شرح العزى ، الصحاح للجوهرى ، السامى فى الأسامى ، الدستور فى اللغة ، مختصر صحاح الجوهرى ، ديوان زهير ، مقامات الحريرى .. إلخ .

من كتب الطب : كامل الصناعة ، كتاب ابن البيطار ، شرح الموجز للسديدى ، الموجز فى الطب ، الكفاية فى الطب ، القانون فى الطب ، الشفاء فى الطب .. إلخ .

إن عناوين هذه الكتب تدل دلالة واضحة على ما كانت تضمه هذه المكتبة وتبين لنا ما هى الكتب التى كانت تقرأ وتنسخ ، ما هى الكتب التى كانت تدرس فى هذه المدرسة .

وإذا تصورنا أن هذه الكتب كانت موجودة وقت إنشاء المكتبة ، فكم ازداد عدد كتبها فى خلال مائتين أو ثلاثمائة سنة ، ولكن اليوم ليس عندنا أى أثر لكل هذا ..

وكما يرى من تلك الوثائق ، فإن جميع الكتب تقريباً كانت باللغةالعربية مما يعتبر أحسن دليل على انتشار الحضارة العربية عندنا . . .

ومما يجدر بالذكر أن حافظ الكتب الذى كان يحصل على درهمين كمرتب يومى يذكر فى هذه الوثيقة لأول مرة . ومن المهم أن نذكر أن عيسى

بك وقف عقاراً كبيراً وعدداً من القرى والدكاكين والكروم والمزارع والطواحين والحمامات وغير ذلك ، وكلها لصالح المدرسة والمكتبة .

وفى الفترة الواقعة بين ١٥٠٣ ، ١٥١١ قام بتسجيل أوقافه وصدق وقفياته الأربعة إسحق جلبي قاضى ببتولى (مناستر) أولا وقاضى سلانيك فيما بعد ، وقد وقف إسحق جلبي أوقافا عديدة فى ببتولى وسلانيك وبلوفديف (فى بلغاريا اليوم) . وكانت أوقافه فى ببتولى فى صالح جامع يوجد حتى اليوم ومدرسة وزاوية وكتاب . ومن بين أوقافه نجد عدداً من الكتب الموقوفة لاستعمالها فى المدرسة . ومن بين الكتب العديدة نذكر عناوين بعضها .

الهداية : لعلى بن أبى بكر الفرغانى .. صدر الشريعة ، تفسير القاضى البيضاوى ، تفسير أبى الليث ، فتاوى البزازى ، تفسير مجمع البحرين ، فتاوى قاضى خان ، شرح الهداية ، جامع الفصولين ، مجمع الفتاوى ، فتاوى الوجيز ، خلاصة الفتاوى ، مشتمل الأحكام ، صحيح البخارى ، الزاموز فى اللغة ، المطول للتفتازانى ، كتاب المواقف فى علم الكلام ، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجى ، مقاصد الطالبين فى أصول الدين للتفتازانى ، منار الأنوار فى أصول الفقه لحافظ الدين أبى البركات عبد الله المشهور بالنسفى ، الكافية فى النحو ، الشافية . العزى فى التصريف لإبراهيم الزنجانى . فرائد السجاوندى ، متن المفصل للزمخشرى ، المغنى لجلال الدين الخبازى ، الأنموذج فى النحو للزمخشرى . .

وإذا قارنا هذه الكتب التى ذكرناها من قبل نجدها متشابهة إلى حد كبير حتى لنجد نفس المؤلفات ، ويمكن القول بأن المكتبات الأخرى كانت تحتوى على كتب متشابهة . . ولكن توجد دلائل معينة على أنه كانت قبل هذه المدرسة فى ببتولى مدرسة أقدم وكان لا بد أن توجد ، لأن الإسلام دخل فى ببتولى قبل دخوله فى المدن الأخرى .

وفى إحدى الوقفيات العربية التى نشرتها ، والتى تعتبر فى الحقيقة أقدم وثيقة عربية فى بلدنا ، والتى يرجع تاريخها إلى عام ١٤٣٢ م يُذكر عيسى فقيه والد صاحب الوقف جاويش بك ، وجامع عيسى بك هذا لا يزال يوجد حتى اليوم فى ببتولى وإن كان قد أصلح ولم يحتفظ بشكله الأصلى .

وعيسى فقيه هذا كان مدرساً للفقه فى إحدى المدارس فى ببتولى ولذلك سمى بالفقيه، وفى هذه المدرسةالتى بنيت قبل ١٤٣٤ كان لابد أن توجد الكتب أيضاً . ولكن لم يبق أى شىء من كل هذا . .

وحوالى ١٩١٣ أنشئت أول مدرسة فى مدينة بريزرين ، وهى اليوم مدينة صغيرة فى منطقة قوصوفو وميتوهيا ، وقد أنشأ هذه المدرسة أحد سكان بريزرين « سوزى » الذى كان شاعراً مشهوراً باللغة التركية ومن بين عدد من الكتب باللغة العربية ، والتركية نجد هنا أيضاً عدداً من المؤلفات باللغة الفارسية ، منها للعطار ، وجلال الدين الرومى ، مما يدل على أنه فى ذلك الوقت كان هناك أناس يعرفون اللغة الفارسية معرفة جيدة ويقرأون هذه المؤلفات وهناك شرط طريف لسوزى المذكور فى وقفيته حول طريقة استعمال هذه الكتب قوله :

« إلى أن يظل فى قيد الحياة سيكون هو المالك ، وبعده فليحفظها الشخص الذى سيكون إماما فى جامعى ، وليعطها مقابل رهن أو ضمانة للمتعلمين والقادرين على الاستفادة منها والذين سيقرأون صلوات شريفة لروحه » .

وفى القرن السادس عشر ، كان الأتراك سادة لشبه جزيرة البلقان كلها ، ودخل الإسلام إلى عدد كبيرمن المدن ، ولذلك نجد مكتبات تحوى مخطوطات عربية فى بلغراد ، وينشى وبريشتينا ، ونوفى بازار ، وأوجيتسا وسراييفو وموستار وبانيالوكا ، وحتى فى الأماكن الصغيرة جداً .

وفى القرن السابع عشر كان عدد هذه المكتبات فى تزايد مستمر ومعها عدد من المخطوطات أيضاً . .

ويطرح السؤال من أين حصلت هذه المكتبات على هذا العدد الكبير من الكتب ؟ أين نسخت وكيف وصلت إلى يوغسلافيا ؟

إن الكتب التى كانت توجد فى هذه المكتبات نسخت فى البلاد الإسلامية المختلفة .

وإن كثيراً من هواة الكتب كانوا يشترونها من مختلف المراكز ويصدرونها إلى بلادنا ، وجزء من الكتب أحضره مواطنونا عند عودتهم من الحج ، وأناس كثيرون من بلادنا كانوا يحتلون مناصب عالية فى البلاد الإسلامية المختلفة فكانوا يشترون الكتب من هناك ويرسلونها إلى الوطن ويهبونها للمكتبات . وفيما بعد كانت هذه الكتب تنسخ من قبل رجال وطننا ، وفى بعض المراكز الكبيرة مثل سراييفو كان يوجد سوق المجلدين . ونجد اليوم الكتب المنسوخة فى مكة والقاهرة ودمشق وبغداد وفى المدن اليوغسلافية المختلفة أيضاً ، وأحياناً فى أماكن صغيرة جداً .

وبالإضافة إلى هذا فهناك أيضاً عدد من الكتاب ذوى الأصل اليوغسلافى كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية والفارسية والتركية وكانوا يتركون كتبهم هذه كوقف .

لقد رأينا من هذه النظرة التاريخية الموجزة أن عدد المكتبات الخاصة والعامة كان كبيراً فى ذلك العهد فى الأراضى التى تتكون منها يوغسلافيا اليوم . ولكن من كل هذه المكتبات لم تبق إلا مدرسة غازى خسرو بك فى سراييفو وبعض المكتبات الصغيرة الأخرى . . تلك المدرسة التى تزايدت ثروتها خلال القرون بالكتب الموقوفة من جانب ، وبكتب بعض المكتبات

البوسنوية التى انضمت لهذه المكتبة من جانب آخر .. وقد أسس هذه المكتبة والى بوسنه غازى خسرو بك حوالى سنة ١٥٣٧ ومع أن هذه المكتبة خربت كثيراً عند هجوم النمسويين عام ١٦٩٧ وفقدت كثيراً من المخطوطات ، فقد جددت بسرعة على الرغم من كل ذلك ، وفيما بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٥٠ نقل إلى مكتبة خسرو بك كثير من المكتبات الخاصة ، ومن بينها مكتبة كاراجوزبك فى موستار ومكتبة كانتاميرى من سراييفو ومكتبة الحاج خليل أفندى من جراتشانيتسا ، .. إلخ ..

وفى السنوات الأخيرة ، ازدادت ثروة هذه المكتبة بشراء المخطوطات من مصادر خاصة حتى إنها أصبحت اليوم أغنى مكتبة للمخطوطات الشرقية ، لا فى شبه جزيرة البلقان فحسب بل فى أوربا كلها .

وبعد أن ألقينا نظرة مختصرة على تاريخ المكتبات والمخطوطات فى يوغسلافيا فلنر بطريقة موجزة ما هى حالة المخطوطات العربية فى يوغسلافيا فى الوقت الحاضر :

من الصعب إعطاء صورة دقيقة للمخطوطات العربية فى يوغسلافيا ، لأن فهارس المخطوطات لا تزال غير موجودة .. وفى العام الماضى صدر الجزء الأول من المخطوطات العربية والفارسية والتركية لمكتبة غازى خسرو بك الذى أعده قاسم دوبراتشا ، أحد طلاب الأزهر الشريف ، ويوضح هذا الفهرس وإن كان للآن غير شامل ، أنه يوجد فى هذه المكتبة بين المخطوطات العربية عدد كبير من المؤلفات القديمة الهامة جداً ، بل وعدد من المخطوطات الفريدة ، وكذلك عدد من المؤلفات المجهولة فى مجالات مختلفة من المعارف الإسلامية وخاصة فى التفسير والحديث والفقه ..

إن أقدم مخطوط فى هذه المكتبة هو « فردوس الأخبار بمأثور الخطاب » وهو مجموعة من الأحاديث لأبى شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمى ، وقد نسخ عام ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) .

لقد نسخ هذا المخطوط فى همذان فى المدرسة العادية بعد موت المؤلف بسبع وثلاثين سنة ، ولذلك يمكن أن نستنتج أنه قد يكون أقدم نسخ هذا الكتاب .

أما الكتاب الثانى من حيث القدم فهو المجلد الثالث للكتاب المدنون : كتاب « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » لأبى إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى النيسابورى ، المنسوخ سنة ٥٧١ هجرى — ١١٧٦ ميلادى .

ومن المؤلفات النادرة القيمة مجموعة الأحاديث الشهيرة « الأربعون حديثاً » « التائية » « أو إرشاد السائرين إلى منازل المتقين » لأبى الفتوح محمد التائى الهمدانى . .

وهناك عدة مؤلفات من الممكن أن نفرض لأسباب كثيرة أنها بخط المؤلف لأنها لا نجدها فى الفهارس المطبوعة ، فلنذكر بعضها فقط :

١ — روضة الأخبار فى شرح مشارق الأنوار ، للأرزنجانى عمر بن عبد المحسن .

٢ — كتاب مختصر موضوعات ابن الجوزى لمحمد بن سليمان النوجى لعام ٧٤٨ / ١٣٤٧ .

٣ — المقتضب من كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعة لابن الجوزى المتوفى ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

هناك عدة مؤلفات منسوخة من الأصل مباشرة نذكر من بينها :

١ — الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى المنسوخة سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) نسخة بلال بن جبرائيل التركمانى فى المدرسة المستنصرية فى بغداد .

٢ — كتاب شرح الألفية للعراقى المنقول من النسخة التى كتبها الكاتب بخط يده سنة ٧٨٥ / ١٣٨٣ ، أى قبل وفاته بعشرين عاما . .

وهناك مخطوطات منسوخة فى بلاد بعيدة مختلفة نذكر على سبيل المثال الجزء الثالث لصحيح البخارى المنسوخ فى بخارى سنة ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م والجزء الأول والثانى لصحيح البخارى أيضاً المنسوخ فى القاهرة فى حى القرافة سنة ٨٤١ هـ — ١٤٣١ م . . كما توجد مخطوطات منسوخة فى قريم ، وتبريز ودمشق إلخ . .

والقيمة الخاصة لهذه المكتبة هى أنها تحتوى على أكبر عدد من مؤلفات الكتاب من البوسنة والهرسك الذين ألفوا آثارهم باللغة العربية والفارسية والتركية ، ولكن لن نتحدث عن هذه الآثار هنا لأنها كانت موضوع رسالة الدكتوراه للدكتور كامل البوهى ، ونرجو أن نرى كتابه مطبوعا فى أقرب وقت .

إن هذه المكتبة تحتوى على ستة آلاف وأربعمائة وستة وأربعين مجلداً تضم تسعة آلاف مؤلف كبير أو صغير باللغة العربية والفارسية والتركية ولكن ٧٠ ٪ هى باللغة العربية .

وبالإضافة إلى هذه المكتبة توجد فى سراييفو بعض المؤسسات والمعاهد الأخرى التى تحتوى على مخطوطات باللغة العربية .

وفى المكان الأول من حيث العدد يأتى معهد الدراسات الشرقية فى سراييفو وبه حوالى ستة آلاف مخطوط باللغة العربية والتركية والفارسية . .

وهنا أيضاً توجد كتب نادرة وقيمة كثيرة ولكن من الصعب إعطاء حكم عليها لأنه لا يوجد فهرس للمخطوطات . .

ويوجد عدد من المخطوطات فى دار الكتب بسراييفو وفى دار

المحفوظات فى سرايبفو ولكن لا يوجد أيضاً فهرس لهذه المخطوطات .

ومن حيث عدد الكتب تحتل المكان الثالث فى يوغسلافيا أى بعد مكتبة خسرو بك ومكتبة معهد الدراسات الشرقية ، المجموعة الشرقية فى محفوظات الدولة لجمهورية مقدونيا فى سكوبيه.

هذه المدينة التى حطمها الزلزال فى العام الماضى ، وبالرغم من أن دار المحفوظات حطمت فإن المخطوطات بقيت بأكملها إلا بعض الوثائق التركية ، وهذه المجموعة وإن كانت أسست منذ ١٥ عاما فقط ، فإنها جمعت ما ينوف عن ٣٥٠٠ مخطوطاً باللغة العربية والفارسية والتركية ، وقد شكلت هذه المجموعة بضم بعض المكتبات الصغيرة فى مقدونيا من ناحية وشراء الكتب من المصادر الخاصة من ناحية أخرى ، وإنى أريد أن أبرز هنا أنه كان فى مقدونيا بعض المدن مشهورة فى عهد العثمانيين مثل سكوبيه وبيتولى ، حتى إن أناساً كثيرين من مناطق بعيدة يأتون إليها لكى يدرسوا العلوم الدينية والدنيوية .

وفى المدن الصغيرة كانت توجد المدارس والمدرسون وكان عدد المخطوطات كبيراً جداً ولكن الظروف التاريخية كانت قاسية جداً لأن الغزاة والمحتلين والحروب كانت تتوالى ولم يبق شىء من تلك الثروة الضخمة من الكتب ومن تلك المكتبات والمدارس إلا ما ذكرنا . .

وفى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية أيضاً هاجر عدد من المسلمين من مقدونيا إلى تركيا ولذلك باعوا عدداً من المخطوطات فى السوق بثمن بخس وأخذوا عدداً منها معهم إلى تركيا . ولكن بالرغم من كل هذه الكوارث فقد احتفظ بشىء قليل من هذه الثروة الضخمة عندما أسست المجموعة الشرقية فى دار المحفوظات فى سكوبيا منذ ١٥ عاماً كما ذكرنا . . ولا يوجد لهذه المجموعة فهرس أيضاً . .

وبناء على ما لاحظته خلال البحوث التى قمت بها فيها فإنه توجد هناك أيضاً كتب قيمة جداً مكتوبة ومنتسخة فى جميع القارات التى انتشرت فيها الثقافة الإسلامية ، ويوجد أيضاً عدد من المؤلفات التى كتبها مختلف العلماء والأدباء ذوى الأصل المقدونى .

وعلى كل حال فعند تأليف تاريخ الحضارة الإسلامية للأراضى اليوغسلافية الحالية خلال العهد العثمانى فسيكون لهذه المؤلفات أهمية كبرى . .

ومن بين هذه الكتب لم أسجل إلا البعض الذى أثار اهتمامى لأنه مكتوب ومنسوخ فى بلادنا ، من مثل شرح الرسالة الوضعية للجرجانى المنسوخ فى مدينة شتيب ، وهى مدينة صغيرة فى مقدونيا ، و« وقاية الرواية » فى سكوبيه ، والتجريد فى كلمات التوحيد فى بيتوف ، وشروح الفتاوى فى بيتولى ، ورسالة المبدأ والمعاد فى سكوبيه وغيرها . .

ومخطوطات هذه المكتبة تشبه من حيث الموضوع موضوعات المكتبات الأخرى ، فمنها فى علم التفسير ، والحديث والفقه وعلم الكلام والصرف والنحو والمعانى والبيان والآداب ودواوين الشعر ، وكتب الطب والصيدلة والحكمة والكيمياء والرياضيات والهندسة .

وفى عام ١٩٣٥ تقريباً ، أسست فى أكاديمية العلوم فى بلغراد لجنة خاصة لجمع المصادر الشرقية التى كانت تجمع أيضاً المخطوطات والوثائق ولكن عدد الكتب المجموعة بقى متواضعاً ، وفى هذه المجموعة يوجد اليوم حوالى مائتى كتاب مخطوط باللغات الشرقية الثلاثة . .

وفى زغرب فى نفس الوقت تقريباً أسست لجنة خاصة لجمع مجموعة الكتب والوثائق الشرقية تلك اللجنة التى استطاعت أن تجمع حوالى ١٧٠٠ مخطوط . ولكن لم يؤلف حتى اليوم فهرس لهذه المخطوطات .

ومنذ عشر سنوات أنشأت فى مدينة بريشتينا مكتبة الأوقاف أهدى إليها كثير من الناس مخطوطاتهم ، وبهذه المكتبة الآن حوالى ١٥٠٠ مؤلف مخطوط من مختلف الفروع وأغلبها العلوم الدينية ، ومن جميع الكتب سبعون فى المائة باللغة العربية ، وعندما اطلعت على مخطوطات هذه المدرسة سجلت بعض العناوين أذكر منها :

تعريفات السيد الشريف المنسوخ سنة ١٥٠٦ ، والإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ، المنسوخ سنة ١٦٠٦ ، وكنز الدقائق للنسفى المنسوخ سنة ١٤٠٢ ، وصحيح البخارى المنسوخ سنة ٩٦٦هجرى ، ومن ثم تفسير البغوى ، القاضى البيضاوى ، وأبى السعود وغيرها ..

وفى مدينة بريزرين فى منطقة قوصوفوومیتوهيا توجد أيضاً مجموعة صغيرة من المخطوطات التابعة لمكتب الأوقاف تحتوى على ٥٠ مخطوطاً . ومن بين هذه المخطوطات نذكر : تفسير الكاشفى باللغة الفارسية وهو مخطوط رائع مزخرف منسوخ عام ٩٨٤ م ، والجامع الصحيح للبخارى ، وفتاوى قاضى خان المنسوخ سنة ٩٦٦ ، وشرح مجمع البحرين المنسوخ سنة ٨٦٣ هـ ، ومن ثم قاموس الفيروز أبادى المنسوخ سنة ٩٦٨ .. وصحاح الجوهرى وغيره .. ووجدت هناك بعض المخطوطات التى وقفها سنان باشا .. فاتح اليمن ووالى القاهرة والصدر الأعظم الذى كان مسقط رأسه فى قرية من قرى هذه المنطقة ..

وفى المكتبة الجامعية فى بلغراد توجد أيضاً مجموعة من الكتب الشرقية التى تضم حوالى ٣٥٠ مخطوطاً التى اشترتها هذه المكتبة من مختلف الناس ، وأغلبها من أحد الأئمة من مدينة بيتش الذى كان منذ سنين يجمع المخطوطات خاصة تلك التى كتبها أناس من بلادنا .. وهذه الكتب أيضاً تمثل مادة قيمة لبحث تاريخ الثقافة والتعليم لأننا نجد أن بعض الكتب باللغة العربية

والفارسية والتركية منسوخة فى أماكن صغيرة لا يمكن أن يكون بها فى العهد التركى أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف نسمة .. وبما أننى اشتريت أغلبية هذه الكتب باسم المكتبة وسجلتها فى القائمة ودرست مضمونها فسأذكر أهمها :

« مشكاة الأنوار للغزالى ، أيها الولد للغزالى ، وقد نسخا فى مدينة صغيرة تسمى جاكوفيتسا ، نقطة البيان المنسوخ فى مدينة بريزرين ، تفسير البغوى ، كتاب صدر الشريعة ، كتاب فتاوى البزازية ، عوارف المعارف لشهاب الدين السهروردى ، كليات أبى البقاء المنسوخ سنة ١١٧٦ هـ ، وحياة الحيوان المنسوخ سنة ٧٧٦ هـ ، ومختصر المعانى المنسوخ سنة ٨٩٠ ، الكتاب المنيف فى صناعة التعريف للقاضى البيضاوى ، صحيح مسلم ، حاشية السراجية فى الفرائض الناسخ والمنسوخ فى المقامات ، كتاب الصلات فى معرفة أنواع الصلاة .. المنسوخ عام ٦٣٠ هجرى ، شرح مسلم المنسوخ سنة ٦٤٢ ، كتاب النزهة فى علم الحساب لشهاب الدين ، كليلة ودمنة وغيرها . .

ويجدر بنا أن نذكر هنا رسالات الشيخ محمد نور العربى الطنطاوى المصرى الذى هاجر من طنطا إلى يوغسلافيا وأسس فى بريزورين وسكوبيه وشتيب التكايا المولوية وقام بنشر هذه الطريقة وألف رسائل عديدة يذكرها صاحب هدية العارفين ، وكلها عن الصوفية بشروح محيي الدين بن عربى . . وأنا أفترض أن هذه الرسالات نادرة لأن محمد نور العربى ألفها فى سكوبية وشتيب حيث مات ودفن ويوجد قبره حتى الآن . .

وأخيراً لم يبق لنا إلا أن نرى ماذا عمل حتى اليوم ، وماذا ينبغى عمله لجمع ودراسة وبحث المخطوطات فى يوغسلافيا . .

إن عدداً كبيراً من المخطوطات العربية لا يزال يوجد فى ملكية مختلف

الأشخاص ، فحيث إن عدد الذين درسوا اللغة العربية وخاصة العلوم الدينية كان كبيراً وكلهم كانوا يملكون فى مكتباتهم عدداً من المخطوطات ، يحدث أن يهمل ورثتهم هذه المخطوطات بعد موتهم أو يبيعونها بثمن رمزى بدون أن يعلموا قيمتها، وسأذكر هنا أن عدداً محترما من أثمن المخطوطات فى بلادنا ، اشتراها بعض الأجانب ونقلها خارج حدود يوغسلافيا .

كل هذه المخطوطات التى بقيت فى أيدى الناس يجب جمعها ، ولكن هذا ليس كافياً بل يجب أن نجدّ بدراسة هذه المخطوطات وتأليف الفهارس عنها ، فقد قلنا إن من بين آلاف الكتب الموجودة صدر حتى الآن الكتاب الأول من فهرس مخطوطات مكتبة غازى خسروبك وأسباب عدم صدور هذه الفهارس حتى الآن كثيرة متعددة :

أولها : أن المتخصصين الذين يستطيعون دراسة المخطوطات دراسة علمية ويؤلفون الفهرس حسب الأصول العلمية قليلون . .

ثانياً : نقص الوسائل المادية لأن طبع فهرس يتكلف كثيراً عندنا فى يوغسلافيا لأنه لا يوجد فى البلاد كلها إلا مطبعة واحدة يمكن طبع النصوص العربية فيها . . وهذه المطبعة دائما مشغولة ، وتجرى الآن الأعمال فى تأليف الكتاب الثانى لمكتبة خسرو بك ، كما تجرى الأعمال فى تأليف كتالوج المخطوطات فى معهد الدراسات الشرقية . وإنى آمل أننى سأبدأ عن قريب فى تأليف فهرس المخطوطات فى المكتبة الجامعية فى بلغراد . وعندما ينتهى عمل الفهارس تكون لدينا صورة حقيقية للمخطوطات العربية فى يوغسلافيا ، وإنى متأكد أنها ستكشف لنا عن كثير من الآثار النادرة القيمة تتحدث عن ضخامة واتساع الحضارة والثقافة العربية وانعكاساتها فى يوغسلافيا . .

التعريف بالمخطوطات

الرَّد على الزُّبيدى فى لحن العامة

تحقيق وتقديم الدكتور عبد العزيز مطر

إذا ذكرت الكتب التى تناولت اللحن فى اللغة ، عند عامة الأندلس وصقلية والمغرب العربى ، برزت فى مقدمتها ثلاثة كتب ، ألفت فى ثلاثة قرون متتالية ، هى :

١ — لحن العامة : للإمام أبى بكر محمد بن الحسن الزُّبيدى الإشبيلى (ت ٣٧٩ هـ — ٩٨٩ م)[(١)]

٢ — تثقيف اللسان وتلقيح[(٢)] الجنان : للإمام أبى حفص عمر بن خلف ابن مكى الصقلى (ت ٥٠١ هـ — ١١٠٧ م)

٣ — المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان : للإمام أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن هشام اللخمى الإشبيلى السَّبتى (ت ٥٧٧ هـ — ١١٨١ م)

وإذا كانت وحدة الموضوع ، ووحدة البيئة ، وقرب الزمن ، قد ربطت بين الكتب الثلاثة فجعلت منها عناصر مشتركة ، فإن رابطة أخرى نشأت بينها تدعوها إلى الذهن عند ما يذكر واحد منها . ذلك أن الكتاب الأخير قد صدَّره مؤلفه بالرد على بعض المسائل التى تضمنها الكتابان الأولان .

---

(١) نشر فى الكويت بتحقيقنا .

(٢) نشر بتحقيقنا ضمن منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٦م

فابن هشام يرى أن الزُّبيدى « تعسَّف على عامة زمانه فى بعض الألفاظ ، وأنحى عليهم بالإغلاظ ، وخطَّأهم فيما استعمل فيه وجهان وللعرب فيه لغتان » وأن لابن مكى أوهاما ، وأنه — كسابقه — أنكر على العامة ما يحتمل التأويل أو يكون عليه من كلام العرب دليل .

ولهذا بدأ ابن هشام كتابه بالرد عليهما فيما أنكراه ، ثم شرع ينبه على أخطاء عامة عصره ، مما ذكره الزبيدى وابن مكى وما لم يذكراه .

وكتاب ابن هشام لا يزال مخطوطا لم ينشر منه سوى هذا الجزء الذى نقدمه ، وهو الجزء الخاص بالرد على الزبيدى ، وسوى مجموعة من الألفاظ انتخبها منه الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، ونشرها فى بحثه « ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة »[1] وسوى ما نشره سيادته أيضا من هذا المخطوط فى بحثه المنشور فى كتاب « إلى طه حسين : فى عيد ميلاده السبعين »[2] .

وقد اعتمدنا فى تحقيقنا لرد ابن هشام على نسختين مخطوطتين فى مكتبة الأسكوريال بإسبانيا ، أولاهما برقم ٤٦ وأوراقها ٧٢ وهى نسخة الأصل بالنسبة لهذا التحقيق ، والأخرى برقم ٩٩ وأوراقها ٩٢ (ورمزها م) وقد تفضل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى بإعارتى النسخة الأولى التى لم أتمكن من الحصول على مصورة لها ، على حين صورت لى النسخة الثانية التى ينقص رد ابن هشام على الزبيدى فيها خمس عشرة فقرة من فقر الرد التى بلغت خمسا وستين .

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث : ١٩٥٧ .

(٢) دار المعارف : ١٩٦٣ .

وعنوان النسخة رقم ٤٦ : كتاب الرد على الزبيدى فى لحن العوام .

وعنوان النسخة رقم ٩٩ : كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان وهذا العنوان الأخير أورده السيوطى فى البغية[١] نقلا عن التجيبى فى رحلته .

وهذا العنوان الأخير أقرب إلى أن يكون عنواناً للكتاب ، لأن الكتاب ليس ردا على الزبيدى وحده ، بل هو رد على ابن مكى أيضاً ، وهو بعد الرد من كتب اللحن التى تستهدف تقويم اللسان ، وهذا إلى أن ابن هشام ذكر فى مقدمته ما يستشف منه هذا العنوان وإن لم ينص عليه صراحة ، فهو يقول فى هدف كتابه « ليكون مدخلاً إلى تقويم اللسان وتعليم الفصاحة التى هى جمال الإنسان » وهذا يشبه ما ذكره ابن مكى فى مقدمة كتابه « ليكون الكتاب تثقيفا للسان وتلقيحا للجنان »[٢] وهذا هو عنوان كتاب ابن مكى الذى كان بين يدى ابن هشام وهو يؤلف كتابه .

ويتألف « المدخل إلى تقويم اللسان » من ستة أقسام هى :

١ — الرد على أبى بكر الزبيدى فى لحن العامة ، وهو الجزء الذى نشرناه مع مقدمة الكتاب .

٢ — الرد على ابن مكى فى تثقيف اللسان .

٣ — باب ما جاء عن العرب فيه لغتان فأكثر استعملت العامة منها أضعفها وربما استعملت أقواها ، وربما عدلت عن الصواب فى ذلك ونطقت باللحن .

٤ — باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ولا عليه من لسان العرب دليل .

---

(١) ٤٨/١ (تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم)

(٢) مقدمة تثقيف اللسان بتحقيقنا .

٥ — باب ما جاء لشيئين أو لأشياء فقصروه على واحد .

٦ — ما تمثلت به العامة مما وقع فى أشعار المتقدمين ، تلقنوها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار التى أخذت منها ، وربما حرفوا بعض ألفاظها .

رد ابن هشام على الزُّبيدى :

تضمن رد ابن هشام على أبى بكر الزبيدى خمسا وستين فقرة من فقر كتاب لحن العامة ، الذى يضم نحو أربعين وأربعمائة حالة من حالات اللحن .

وجمهرة هذا الرد مؤسسة على الاختلاف بين الزبيدى وابن هشام فى القياس الصوابى لكل منهما . فالزبيدى متشدد يحكم بالخطأ على ما لم يكن فصيحا وإن جاءت به لهجة من لهجات العرب ، وابن هشام يتوسع فى دائرة الصحة اللغوية ، ويعد صحيحا كل ما جاءت به لهجة من لهجات العرب ، ولو كانت ضعيفة ، وكل ما رواه لغوى ولو كان منفرداً بروايته .

وهذه أمثلة من رد ابن هشام توضح هذا المسلك :

١ — أخذ الزبيدى على العامة قولهم : أكنيته فهو مُكْنًى ، وذكر أن الصواب : كَنَيته فهو مَكْنِيٌّ وكنَّيته فهو مُكَنًّى . فكان رد ابن هشام : إن أكنيته فهو مُكْنًى ليست بالفصيحة إلا أنها ليست بخطأ ولا يجب أن تلحَّن بها العامة لكونها مسموعة . ومن اتسع فى كلام العرب ولغاتها لم يكد يلحِّن أحداً ، ولذلك قال أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (الأخفش الأكبر) : « أنحى الناس من لم يلحن أحدا » . وقال الخليل ، رحمه الله : « لغة العرب أكثر من أن يلحن متكلم » . وروى الفراء

أن الكسائى قال : « على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل »[1] .

٢ — خطأ الزبيدى عامة عصره فى قولهم : امرأة سكرانة ، وبين أن الصواب : سَكْرَى . ولكنه لا يُغفِل ماروى أن بنى أسد كانوا يقولون سكرانة ، ومع ذلك لم يأخذ بما روى عنهم لأن لبنى أسد مناكير ولا يُؤخذ بها .

وكان رد ابن هشام : « فإذا قالها قوم من بنى أسد فكيف تُلَحَّن بها العامة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قبائل العرب[2] » .

٣ — أخذ الزبيدى على العامة قولهم للكُمَّثْرى : إجَّاص . والإجَّاص ضرب من المشمش . فكان رد ابن هشام : روى أبو حنيفة الدينَوَرِىّ أن أهل الشام يقولون للكمثرى : إجّاص ، وإذا كانت لغه شامية فكيف تلحن بها العامة ؟[3] » .

٤ — رأى الزبيدى — كغيره من اللغويين الذين يتوخَّوْن الفصاحة — أنّ غَلَقْتُ الباب (ثلاثياً) خطأ . والصواب أغلق . فرد عليه ابن هشام بقوله : « قد حكى ابن دريد فيه غَلَقت ، وهى لغة ضعيفة . والأفصح فى ذلك غَلَّقت ، قال الله تعالى : (وَغَلَّقَتِ الأبوابَ) ثم أغلقت ، ثم غلقت — وإن كانت ضعيفة — فلا يجب أن تلحن بها العامة[4] » .

(١) انظر الفقرة رقم ٢٦ من هذا الرد .
(٢) الفقرة رقم ٤٣ .
(٣) الفقرة ١٥ .
(٤) الفقرة رقم ٣٦

٥ — أخذ الزبيدى على العامة قولهم لريحانة طيبة الريح : نَعْنَع : وذكر أن الصواب نُعْنُع (بضم النونين) . ولا ينسى الزبيدى أن يشير إلى أن بعض اللغويين روى نَعْنَعاً بفتح النونين — كما تقول العامة — إلا أن الأفصح عنده هو الضم .

وواضح من هذا أن الزبيدى يعرف اللغتين ، ويروى الروايتين ، ولكنه يأخذ بالأفصح ويخطِّئ ما عداه . ولكن ابن هشام يتعقبه قائلا : « وإذا كان فى الكلمة لغتان وكانت إحداهما أفصح من الأخرى ، فكيف تلحَّن بها العامة ، وقد نطقت بها العرب . وإنما تلحن العامة بما لم يتكلم به[1] » .

٦ — وأحياناً يتناول الرد بعض القضايا التى يثيرها الزبيدى فى رده . ومن ذلك أن الزبيدى — وهو يخطِّئ استعمال العامة لكلمة « الصَّارِى » فى معنى عود الشِّرَاع — قد غَلَّط الأصمعىَّ فى قوله إن صُرَّاء جمع لصارٍ على غير قياس . وزعم الزبيدى أن هذا الجمع قياسىٌّ وأنه نظير قائم وقُوَّام ، وصائم وصُوَّام ، وضارب وضُرَّاب . فكان رد ابن هشام — ومعه الحق — أن الأصمعى إنما بنى على الجمع المعهود فى فاعل المعتل اللام وهو مخصوص بفُعَلة أو فُعَّل نحو ماشٍ ومُشاة ، وقاض وقضاة ، ورامٍ ورُماة ، وغازٍ وغُزًّى ، وعافٍ وعُفًّى ، وإنما كان ينبغى أن يكون صُرَّاء على أحدهما ، فلما لم يأت على أحدهما جعله شاذًّا . قال : « وقول أبى بكر إن فُعَّالاً من الأبنية التى تكون جمعاً لفاعل إنما ذلك فى البناء الصحيح اللام نحو ضارب وضُرَّاب وقائم وقُوَّام وصائم وصُوَّام . وأما من بناء ماشٍ وقاضٍ فلم يأت إلا شاذًّا نحو صُرَّاء[2] » .

---

(١) الفقرة رقم ٥٥

(٢) الفقرة رقم ٣٩

٧ — وبينما نرى ابن هشام متساهلا يلتمس لما يقوله العامة وجهاً فى اللغة، نراه متشدِّداً مع صاحبه لا يغفر له استعماله لفظاً ليس بالأفصح . فيورد له الأفصح[1] ، أو استشهاده ببيت لشاعر مُحدَث فيورد له بديلًا عنه[2] ، أو ذكره جزءاً من حديث فيكمله له[3] ، أو إغفال وجه من الأوجه الجائزة فى الكلمة فينبه إليه[4] . . .

ومهما عددنا هذا الرد خلافاً فى نظرة كل من العالمين الجليلين إلى الصواب اللغوى ، فإن فى رد ابن هشام دلالة على سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، وإحاطته بكثير من لهجات العرب ، وروايات اللغويين الذين نقل عنهم فى هذا الجزء الذى لا يتجاوز ثلاث عشرة ورقة .

وإنى إذ أقتصر الآن على نشر هذا الجزء ، أرجو أن تتاح لى فرصة نشر الكتاب كاملا ، إن شاء الله .

عبد العزيز مطر

(١) الفقرة : ٢٢

(٢) الفقرة : ٤٢

(٣) الفقرة : ٥٧

(٤) الفقرة : ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(ا — ب)

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم[1]

عونك اللهم[2]

قال الفقيه الأستاذ الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام، عفا الله عنه :

الحمد لله قبلَ كلِّ مقال، وتالٍ لـكل فَعال . وصلى الله على محمد وعلى آله، خيرِ آل . وبعد، فإنه أولُ ما يجب على طالب اللغة تصحيحُ الألفاظ العربية المستعملة، التى حرَّفتها العامةُ عن موضعها، وتكلَّمتْ بها على غير ما تكلمت بها العربُ فى ناديها ومُجتَمعِها . فإذا صحَّحها وأزال منها التحريف، ونفى عنها التصحيف، وأقامها كالقِدْح فى التثقيف، ولفَظ بها كما لفَظت بها العرب فى المشتاة والخريف، والمرْبَع والمصيف، كان ما وراء ذلك عليه أقربَ، وأسهلَ للطلب .

ولقد شهدت بعض من ينتمى — بزعمه — إلى الأدب، ويَنسِل إليه من كل حَدَب، وقد استعمل فى كلامه : « الخِرْبِز »[3] فسأله بعض الحاضرين

(١) فى نسخة م : صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

(٢) ليست فى م

(٣) الخربز بوزن زبرج ، معرب عن الفارسية أو هو عربى صحيح (القاموس) وهو اسم للبطيخ الأصفر .

عنه ، فقال ، « البَطِّيخ » بفتح الباء[1] . وهذا من أقبح القبيح أن يستعمل اللغة الغَريبة ، وقد قصر عن تصحيح المستعملة القريبة .

وألف الزبيدىّ — رحمه الله — فى لحن عامة زمانه[2] ، وما تكلمت به فى أوانه ، فتعسَّف عليهم فى بعض الألفاظ ، وأنحى عليهم بالإغلاظ ، وخطأهم فيما استُعمل فيه وجهان ، وللعرب فيه لغتان .

فأوردت فى هذا الكتاب جميع ذلك ، وما تعسف عليهم هنالك ، وبينت ما وقع فى كلامه من السهو والغلط ، والتعنيت[3] والشَّطَط . وأردفته بذكر أوهام ابن مكى فى كتابه المسمى بـ « تثقيف اللسان وتلقيح الجَنان » وابتدأت بالرد عليهما فيما أنكراه ، وأضفت إلى ذلك كثيراً مما لم يذكراه ، مما غُيِّر فى زماننا ، ولَحنت فيه عوامُّنا . وجعلت هذا الكتاب مَدخلا إلى تقويم اللسان ، وتعليم الفصاحة التى هى جمال الإنسان مَدخلا إلى تقويم اللسان ، وتعليم الفصاحة التى هى جمال الإنسان . ومن الله أسأل العصمة من الخطأ والزَّلَل ، فى القول والعمل ، إنه سميع مجيب .

---

(١) أى والصواب بكسر الباء .

(٢) يعنى كتابه لحن العامة الذى نشرناه محققا فى صدر هذا الكتاب .

(٣) نسخة م . التعنيف .

١ ــ آله

قال أبو بكر محمد بن حسن الزُّبيدى ، رحمه الله :

« اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وآلِه . والصواب : اللهم صَلِّ على محمد وآلِ محمد[١] » .

قال الرادّ : هذا الذى ذكر هو مذهب الكسائى ، وهو أول من قاله ، فاتبعه هو وأبو جعفر النحاس ، على رأيه . وليس بصحيح ، لأنه لا قياس له يَعضُده ، ولا سماع يؤيده (٢ ــ ا) لأن إضافة « آل » إلى المضمر قد وردت به عن العرب الأخبارُ ، ونطقت به الأشعار . فمن ذلك ماروى أبوالعباس المبرد فى « الكامل »[٢] أن رجلا من أهل الكتاب ورد[٣] على معاوية ، فقال له معاوية : أتجد نعتى فى شىء من كتب الله ؟ فقال[٤] : إى واللهِ ، حتى لو كنتَ فى أُمَّةٍ لوضعت عليك يدى من بينها[٥] . قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجدك أولَ من يحول الخلافة مُلكاً ، والخشونةَ[٦] ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم[٧] . قال : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شَرَّاب

---

(١) لحن العامة : ٤٩ من تحقيقنا .

(٢) ٢٢٣/٣

(٣) في الكامل : وفد

(٤) في الكامل : قال

(٥) في الكامل : من بينهم

(٦) فى الكامل : والخشنة . ومثله فى الاقتضاب : ٧

(٧) فى الكامل : قال معاوية فسرى عنى ، ثم قال : لا تقبل هذا منى ؛ ولكن من نفسك . فاجتنب هذا الخبر .

للخَمْر ، سَفَّاك للدماء ، يحتجن الأموال ، ويصطنع الرجال ، ويُجنِب الخُيول[١] ، ويُبيح حرمة الرسول . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكون فتنة تتشعب بأقوام ، حتى يفضِيَ الأمر بها إلى رجل أعرف نعته ، يبيع الآخرةَ الدائمة ، بحظ من الدنيا مخسوس ، فيجتمع عليه من آلك ، وليس منك . لا يزال لعُدوِّه قاهراً ، وعلى من ناوأه ظاهراً ، ويكون له قرين مُبيرٌ أمين . قال : أفتعرفه إن رأيته ؟ قال : شدَّ ما . فأراه مَن بالشام من بنى أمية . فقال : ما أراه ها هنا فوجَّه به إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فإذا بعبد[٢] الملك بن مروان يسعى مؤتزراً ، فى يده طائر . فقال للرسل : ها هو ذا . ثم صاح به : إلىَّ أبو مَنْ ؟ قال : أبو الوليد . قال : يا أبا الوليد إن بشرتك ببشارة تسرُّك ما تجعل لى ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها[٣] من الجُعْل ؟ قال : أن تملك الأرض . قال : مالى من مال . ولكن أرأيتَ إن تكلفت لك جُعْلاً أأنال ذلك قبل وقته ؟ قال : لا . قال : فإن حَرَمتك ، أتؤخره عن وقته ؟ قال : لا . قال : حسبك[٤] ما سمعت .

هكذا روى أبو العباس وغيره هذا الخبر : من آلك وليس منك ، بإضافة «آل» إلى الكاف . وأبو العباس من أئمة اللغة المشهورين بالحفظ والضبط .

وقال عبد المطلب ، حين جاء أبرهة الأشرم ، لهدم الكعبة :

لاَهُمَّ إنَّ المرءَ يمنعُ رَحْلَه فامنع حِلالَك[٥]

(١) فى المخطوط : ويجند الجند . وما أثبتناه من « الكامل » والاقتضاب : ٧

(٢) فى الكامل : فإذا عبد الملك

(٣) فى نسخة الأصل . ما مقدارها . وما أثبتناه من الكامل ونسخة م .

(٤) فى الكامل : فحسبك .

(٥) اللسان (حلل) ونسب لعبد المطلب .

لا يَغلِبَنَّ صليبُهمْ ومِحالُهم عدْواً مِحالَكْ[1]

فانصُرْ على آلِ الصَّليـبِ وعابديه اليومَ آلَكْ[2]

يعنى قريشاً ، لأن العرب كانوا يسمونهم : « آل الله »[3] لكونهم أهلَ البيت ، وقال الكميت :

فأبلغ بنى الهندَينِ من آلِ وائلٍ وآل مَناةٍ والأقاربَ آلَها

أَلُوكاً تنال ابنَىْ صفية وانتجع سواحلَ دُعْمِىٍّ بها ورمالَها[4]

(٢ — ب) وقال خُفاف بن ندبة :

أنا الفارسُ الحامى حقيقةَ والدى وآلى كما تَحمِى حقيقةَ آلكا[5]

---

(١) اللسان (محل) ونسب لعبد المطلب .

(٢) فى نسخة م هامش نصه : « قال ابن هشام مهذب السيرة لابن إسحاق : هذا ما صح لى منها ، ولم يصحح البيت المستشهد به لعبد المطلب» وقد تبين لى صحة هذا التعليق فإن ابن هشام لم يورد بيت الشاهد . ولكن السهيلى أورده فى الروض الأنف : ٤٥/١ وقال : وفي الرجز بيت ثالث لم يقع فى الأصل : وهو « وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك » قال : وفيه حجة على النحاس والزبيدى ، حيث زعما — ومن قال قولهما — إنه لا يقال : اللهم صل على محمد وعلى آله .

(٣) فى ثمار القلوب : ١٠ « أهل الله » وفيه : وسمى محمد بن عبد الملك بن صالح « ابن آل الله » .

(٤) البيتان فى الاقتضاب : ٧ ورواية الأول فيه :

فأبلغ بنى هند بن بكرِ بن وائلٍ وآل منـاةٍ والأقاربَ آلهـا

وفى البيت الثانى : توافى ، بدل : تنال . وفى المخطوطة : ممناة الأقارب .

(٥) البيت فى الاقتضاب : ٨ وهو فى الأغانى : ٩١/١٥ ضمن ثمانية أبيات لخفاف ابن ندبة برواية أخرى :

أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى به أدرك الأبطال قدماً كذلك

قال الأستاذ أبو محمد بن السِّيد[1] — رحمه الله — : « قال أبو الطيب المتنبي ، وإن لم يكن حُجَّةً فى اللغة :

واللهُ يُسعِدُ كلَّ يومٍ جَدَّهُ ويَزيد من أعدائِهِ فى آلِهِ[2]

وأبو الطيب ، وإن كان ممن لا يحتج به فى اللغة ، فإن فى بيته هذا حجةً من جهة أخرى ، وذلك أن الناس عُنُوا بانتقاد شعره ، وكان فى عصره جماعة من اللغويين والنحويين ، كابن خالويه ، وابن جنى ، وغيرهما . وما رأيت أحدًا منهم أنكر عليه إضافة « آل » إلى المضمر . وكذلك جميع من تكلم فى شعره من الكتاب والشعراء ، كالوحيد[3] ، وابن عَبَّاد[4] ، والحاتمى[5] ، وابن وَكيع[6] ، لا أعلم لأحد منهم اعتراضاً فى هذا البيت . فدل هذا على أن هذا لم يكن له أصل عندهم ، فلذلك لم يتكلموا[7] فيه . و « آل » أصله

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسى ، اللغوى النحوى ، نزيل بلنسية ، وشارح ديوان المتنبي ، وأدب الكاتب ، وسقط الزند ، وغيرها ت ٥٢١ هـ (قلائد العقيان : ١٩٣ وبغية الوعاة ٢ / ٥٥) . والنص فى كتابه « الاقتضاب » : ٨ .

(٢) ديوان المتنبي : ٣/٢٣٠ .

(٣) هو سعد بن محمد بن على بن الحسن بن سعيد بن مطر . كنيته أبو طالب ، ولقبه : الوحيد ، كان متقدما في اللغة والنحو والعروض . له شرح ديوان المتنبي . ت ٣٨٥ هـ (بغية الوعاة ١ / ٥٨٠) . وفي الاقتضاب : الواحدى . وله أيضاً شرح ديوان المتنبي .

(٤) إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقانى ، أبو القاسم ، الوزير ، الملقب بالصاحب . شاعر ، أديب ، لغوى . من مؤلفاته : الكشف عن مساوىء المتنبي ، المحيط باللغة ، رسائل الصاحب ، ديوان الصاحب . ت ٣٨٥ هـ (بغية الوعاة ١ / ٤٤٩) .

(٥) محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمى ، أبو على البغدادى ، من أهل اللغة والأدب ، وله مؤلفات منها : الرسالة الموضحة فى مساوىء المتنبي . ت ٣٨٨ هـ (بغية الوعاة ١/٨٧)

(٦) ابن وكيع التنيسى ، الحسن بن على الضبى ، شاعر أديب ، أصله من بغداد وولد وتوفى بمصر (ت ٣٩٣ هـ) له ديوان شعر . و « المنصف فى سرقات المتنبى » (وفيات الأعيان ترجمة رقم ١٦٣) .

(٧) في الاقتضاب : يتكلفوا .

« أهل » ثم أبدلوا من الهاء همزة ، فقيل « آل » ثم أبدل من الهمزة ألف ، كراهية لاجتماع همزتين ، ودل على ذلك قولهم فى تصغيره : « أهيل » فردوه إلى أصله[1] . وحكى الكسائى فى تصغيره « أُوَيْلا »[2] وهذا يوجب أن يكون ألف « آل » بدلا من واو ، كالألف فى باب ودار .

٢ ـ ذاته ، الذات

وقال أيضاً : « ولا يجوز أن تدخل الألفُ واللاَّمُ على ذى ولا ذات فى حال إفرادٍ ولا تثنيةٍ ولا جمعٍ ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع أبدًا مضافةً إلى الظاهر »[3] .

قال الرادّ : هذا الذى ذكر يوجبه القياس ، لأنها إنما تذكر ليتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأجناس ، كقولك : مررت برجل ذى مال ، وذى علم ، وذى كرم . والمضمر ليس بجنس ، فكان يجب ألا تضاف[4] إليه . وكذلك كان حقها ألاَّ تفرد . وألا يدخلها الألف واللام . إلا أنه قد سمع ذلك من العرب ، ممن يحتج بقوله ، ويرجع فى اللغة إليه . وما تكلمت به العرب ، ووقع فى أشعارها وأخبارها ، ونقله أهل الثقة عنها ، لا تَلَحَّن به العامة ، وإن قَلَّت شواهدُه ، وضعف قياسه ، قال الأحوص :

(١) اللسان (أهل) .

(٢) رواه الفراء عن الكسائى اللسان : (أول) .

(٣) النص فى لحن العامة : ٤٧ ، ٤٨ بلا خلاف إلا في قوله : «ولا يجوز أن تلحق الألف واللام ذو ولاذات » بدل «تدخل على ذى» الواردة هنا .

(٤) م : ألا يضاف .

وإنا لنرجو عاجلاً منك مثلما رجوناه قِدْماً من ذويك الأوائلِ (١)

فأضاف « ذوى » وهو جمع « ذى » إلى المضمر .

وقال كعب بن زُهير :

صَبَحْنا الخَزْرَجِيَّةَ مُرهفَاتٍ أبادَ(٢) ذَوِى أرُومتِها ذَوُوها(٣)

وأنشد أبو على :

إنما يصطنع المعروفَ فى الناسِ ذَووهُ
أهنأُ المعروفِ ما لم تُبتذَلْ فيه الوجُوهُ (٤)

وأدخل سيبويه بيت (٣ — ١) الكميت شاهدًا على جمع ذى جمع السلامة ، وإفراده من الإضافة ، وإلزامه الألف واللام ، وهو :

فلا أعْنِى بذلك أسفَلِيكُمْ ولكنِّى أُرِيدُ به الذَّوِينا (٥)

---

(١) اللسان : ٢٠/٣٤٦ (منسوب) وروايته فيه :

ولكن رجونا منك مثل الذى به صُرفنا قديماً من ذويك الأوائل

(٢) في هامش نسخة م : أبار .

(٣) شرح الديوان : ٢١٢ بنصه ، واللسان (ذو) وفيه : أبار .

(٤) البيتان لأبى العتاهية وأوردهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار : ٣ / ١٩٤ فى ستة ابيات ، والبيت الثانى فيها سابق الأول . ورواية الأول :

إنما يعرف الفضل من الناس ذووه

وهذا البيت كما أورده ابن هشام هنا ، فى اللسان ٢٠ / ٣٤٦ .

(٥) البيت فى كتاب سيبويه : ٢ / ٤٣ والخزانة ١ / ٦٧ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز : ١٩٧ والصحاح ٦/٢٥٥٢ والشطر الثانى فى لحن العامة للزبيدى: ٤٩ ، وفى هامش نسخة م : تعليق على كلمة « الذوينا » نصه : يريد الأذواء ، وهم ملوك اليمن المسمَّون بذى يَزَن ، وذى جدَن ، وذى نُواس . فإذا كان علما جاز جمعه بالواو والنون ، أو بالتكسير فهو بمنزلة المضاف . وإنما الشذوذ فيه قطعه عن الإضافة .

وقال أبو العباس المبرّد فى بعض أبواب كتابه المسمى بـ « الكامل » : « باب الأذواء من اليمن »[1] فأتى به مجموعا جمع التكسير ، معرفا بالألف واللام ، وهو من أهل اللغة المحتج بقوله ، لرسوخه فيها وثقته ، وحاشا أن يُدخل فى كتابه ، أو يبوّب على باب من أبوابه ، ما لم تستعمله العرب فى مقاماتها ، ولا عرف من لغاتها ، وهو من أئمة النحويين واللغويين غيرَ مُدافَع ، فى فصاحته وبلاغته ، وحسن عبارته ، ومن قرأ كتبه ووقف على ما ألّفه عرف ذلك يقينا ، إن كان له بَصَرٌ يهديه ، وبصيرةٌ ترشده . وما التوفيق إلا بالله [تعالى][2] .

٣ — السطل

وقال أيضاً : « ويقولون للإناء المتَّخذِ من الصُّفْرِ : سَطْل .

والصواب : سَيْطَل ، على مثال فَيْعَل »[3] .

قال الرادّ : قال الخليل بن أحمد — رحمه الله : « السَّطْل[4] : الطُّسَيْسَة الصغيرة . ويقال إنه على صيغة[5] تَوْر[6] ، وله عُروة كعُروة المِرجَل ، ويقال له السَّيطل[7] أيضاً » فبدأ بما أنكره أبو بكر الزُّبَيدى ، فى كتابه ، ولحّنَ

---

(١) الكامل : ٤ / ١٠٠ باب ذكر الأذواء من اليمن فى الإسلام .

(٢) من نسخة م .

(٣) لحن العامة : ١٠٢ بنصه .

(٤) اللسان (سطل) : السيطل .

(٥) فى اللسان : صفة .

(٦) إناء يشرب فيه .

(٧) فى اللسان : والسطل مثله . ولم ينسب هذا القول للخليل .

فيه عامة زمانه ، ثم أتبعه باللغة الأخرى . وقال ابن سيده أيضاً فى كتابه « المحكم » : « السَّطْل عربى صحيح ، والجمع سُطُول »[1] .

وقال أبو بكر أيضاً فى آخر هذا الفصل من كتابه « لحن العامة »[2] :

« وسألت عنه[3] أبا على فقال : هو دخيل فى كلام العرب » .

قال الرادّ : وإذا كان دخيلاً فى كلام العرب ، وتكلمت به ، فلا معنى لإنكاره على من تكلم به . وهذا الذى قاله أبو على فى السَّطل قد قال مثله ابنُ دريد فى السَّيْطل ، ولكنه صرَّح بأن العرب تكلمت به .

قال ابن دريد — رحمه الله : « السَّطْل والسَّيطَل أعجميان ، وقد تكلمت بهما العرب »[4] .

٤ — حير

وقال أيضا : « ويقولون للحظيرة تكون فى الدار : حَيْر . والصواب حائر »[5] .

قال الرادّ : قال الخليل بن أحمد : « الحائر حَوضٌ يُسَيَّب إليه مَسِيل الماء من الأمطار ، يسمى بهذا الاسم بالماء وغيره[6] . وبالبصرة حائر الحجَّاج

(١) فى اللسان : والسطل مثله ، والجمع سطول ، عربى صحيح . والسيطل لغة فيه .

(٢) ص : ١٠٣

(٣) أى عن السطل . والذى ورد فى كلام أبى على فى « المقصور والممدود » (ورقة ٤٣ — أ) عند تعريف العلاوة هو السيطل . وعنه نقله الزبيدى . وكلام ابن هشام هنا يدل على أن السؤال عن السطل لا السيطل .

(٤) الجمهرة : ٣ / ٢٧ بنصه . وفى نسخة م : به ، بدل بهما .

(٥) لحن العامة : ١٣٩ ، ١٤٠ وفيه « للحظيرة تكون » ومثله فى النص الذى نقله صاحب خزانة الأدب : ١ / ٤٥٨ وفى الأصل : للحظير يكون .

(٦) وغيره : لم تذكر فى اللسان والسياق يدل على وجودها .

معروف ، يابس لا ماء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحَيْر ، كما يقولون لعائشة : عَيْشة ، يستحسنون التخفيف وطرح الألف »[1] .

قال الرادّ : يعنى الخليل بقوله : « وأكثر الناس يسميه الحَيْر » : العربَ . والدليل على ما قلناه تعليله لذلك ، لأن غير العرب لا يلتفت لكلامهم فكيف يعلل . ومن الدليل على ذلك أيضا قوله : « كما يقولون لعائشة عَيْشة » والذين يقولون لعائشة : عَيْشة ، هم العرب .

وقد جاء ذلك فى أشعارهم الفصيحة . قال الشاعر ، وهو رجل من (٣ — ب) بنى تميم لعمر بن عُبَيد الله بن مَعْمَر :

انبِذ برملةَ نبذَ الجورَبِ الخَلَقِ ... وعِشْ بعَيْشةَ عَيْشًا غيرَ ذى رَنَقِ[2]

يعنى « رملة » أخت طَلحة الطَّلَحات ، و « عائشة » بنت طلحة ابن عُبيد الله[3] . وإذا حكى الخليل أن أكثر الناس يسميه الحَيْر ، ويعلل ذلك ، فكيف تلحّن به العامة ؟

ثم قال أبو بكر فى آخر هذا الفصل : « وقد روى أبو عُبَيد عن أبى عمرو الشيبانى ، فى بيت رؤبة ، وهو :

---

(١) النص فى اللسان (حير) .

(٢) جمهرة ابن دريد : ٢/٣٦٠ والمعرب : ١٠١ وتثقيف اللسان : ٢٣٢ وجاء فى الأغانى : ١١/١٨٦ برواية :

انعَم بعائشَ عيشاً غيرَ ذى رَنَقٍ ... وانبِذ برملة نبذَ الجَوربِ الخَلَقِ

(٣) كانت رملة بنت عبيد الله بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعى ، زوجا لعمر بن عبد الله بن معمر ، أما عائشة فهى بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد التيمى . وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم مصعب بن الزبير . ثم عمر بن عبد الله بن معمر (الأغانى ١١/١٧٦ و ١٨٠ و ١٨٦ و ١٨٧) .

حتى إذا ما اهتاجَ حِيرانُ الذَّرَق[1]

قال : حيران جمع حير[2] . فأثبت آخراً ما نفاه أولًا[3] ، وأتى بالحجة على نفسه .

٥ — ضويعة

وقال أيضا : « ويقولون فى تصغير ضَيْعة : ضُوَيعة ، ويجمعونها على ضِيَع .

والصواب : ضُيَيْعة وضِيَيْعة إن شئتَ ، والجمع ضِياع »[4] .

قال الرادّ : أما إنكاره التصغير فصحيح ، على مذهب البصريين ، وغير صحيح على مذهب الكوفيين ، لأنهم أجازوا قلب هذه الياء واواً ، لانضمام ما قبلها ، فيقولون فى ضَيْعة : ضُوَيعة . وسيأتى الكلام على هذا الفصل ، مستوفًى فيما بعد ، إن شاء الله . وأما إنكاره الجمع فغير صحيح ، لأن العرب تجمع « فَعْلة » فى الكثير على « فِعال[5] » نحو جَفْنة وجِفان ،

---

(١) الرجز فى اللسان والصحاح (ذرق) والمنجد لكراع : ٣٢٣ .

(٢) النص فى لحن العامة : ١٤١ . ورواية أبى عبيد فى اللسان (حير) ونصه : ولا يقال حير ، إلا أن أبا عبيد قال في تفسير قول رؤبة . . الحيران جمع حير لم يقلها أحد غيره ولا قالها هو إلا فى تفسير هذا البيت .

(٣) في هامش نسخة م : بل ما يوافق كلام العامة . وكثيراً ما تفعل أنت ذلك .

(٤) لحن العامة : ١٨٠ مع تفصيل فى العبارة الأخيرة حيث يقول : « والصواب ضييعة وإن شئت قلت : ضِيَيعة ، بكسر أوله ، وكذلك كل ما كان أصله الياء من هذا المثال ونحوه ، والجمع ضياع » .

(٥) هذا الجمع لم ينكره الزبيدى ، والمعروف أن التكسير على « فِعال » يطرد فى كل ما كان على فَعْلَ وفَعْلة اسمين أووصفين . ولكنه قليل فيما كانت عينه ياء نحو ضيف وضياف ، وضيعة وضياع (شرح ابن عقيل ١/٤٦٣) والخلاف بين الزبيدى وابن هشام إنما هو فى جمع ضَيْعة على ضِيَع .

وقَصْعة وقِصاع ، وصَحْفة وصِحاف . وبنات الياء والواو بهذه المنزلة ، نحو ظَبْية وظِباء ، ورَكْوة ورِكاء . وكذلك ما اعتلت عينه ، نحو عَيْبة وعياب ، وضَيعة وضِياع . ويجمعونها أيضا على فِعَل وإن كان جمعاً عزيزاً ، نحو بَدْرة وبِدَر ، وبَضْعة وبِضَع[1] ، وهَضْبة وهِضَب[2] ، وحَلْقة وحِلَق[3] . وقالوا أيضاً فى المعتل العين : ضَيْعة وضِيَع ، فلا معنى لإنكاره مع نطق العرب به ، وإن كانت لغة قليلة ، قال ابن سيده فى « المحكم » : « الضَّيْعة الأرض المُغِلَّة والجمع ضِيَع وضِياع »[4] .

٦ — بنيقة

وقال أيضاً فى باب « ما تضعه العامة غير موضعه » : « ويقولون بَنِيقة للقطعة من الشُّقَّة تخاط بجَنْب القميص . والبَنِيقة لِبْنَة القميص التى فيها الأزرار » .[5]

قال الرادّ : أما تخصيصه البنيقة بلِبْنة القميص فوهم . قال الخليل — رحمه الله — البنيقة : كل رُقعة فى الثوب نحو اللِّبنة وما يشبهها ، والجمع البنائق . واحتج ببيت « نُصيب » وهو :

---

(١) في الصحاح (بضع) : الجمع بضع مثل تمرة وتمر . وبعضهم يقول : جمعها بِضَع ، كبدرة وبدر .

(٢) الصحاح (هضب) : الهَضْبة المطرة والجمع هِضَب مثل بدرة وبدر .

(٣) فى الصحاح (حلق) : حلقة الباب وحلقة القوم ، والجمع الحلق (بفتحتين) على غير قياس . وقال الأصمعى : الجمع الحلق (بكسر ففتح) مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع .

(٤) المحكم : ١٥٥/٢ وزيد فيه : « فأما ضيع فكأنه إنما جاء على أن واحدته ضيعة ، وذلك لأن الياء مما سبيله أن يأتى تابعاً للكسرة ، وأما ضياع فعلى القياس » .

(٥) لحن العامة : ٢٠١ بنصه

سُودتُ فلم أملِكْ سوادِي وتحتَهُ   قَميصٌ من القُوهِيِّ بِيضٌ بنائقُهْ[1]

ولم يرد نصيب لِبَنَ القميص فقط كما ظن أبو بكر . وإنما أراد رقاع القميص كلها ، وبهذا صح المعنى . وأما البيت الذى احتج به وهو (٤ — أ) .

يَضُمُّ إلىَّ الليـلُ أطفالَ حُبِّهـا   كما ضَمَّ أزرارَ القميصِ البنائقُ[2]

فلا حجة له فيه ، لأن البنائق هنا اللِّبَن ، وهى إحدى رقاع القميص ، كما قدمنـا . وليس فى البيت دليل على أنه لا يقال بَنيقة إلا لِلبِنْـة القميص فقط .

وقال ابن دريد : بنائق القميص هى التى تسمى الدَّخارِيص ، والواحدة دِخْرِصة ، فارسى معرب[3] . قال ابن سيده : الدخاريص من القميص والدرع :

---

(١) البيت فى الأمالى ١٢٧/٣ (منسوب) وفيها : ٨٨/٢ برواية : كسيت ولم أملك سواداً . وفى اللسان (قوه) قال : أنشد ابن برى لنصيب . وهو أيضاً فى الخصائص ٢١٦/١ وجاء فى الأغانى ٣٥٤/١ ضمن ثلاثة أبيات لنصيب وروايته :

وما ضر أثوابى سوادى وتحتها   لباس من العلياء بيض بنائقه

(٢) البيت لمجنون ليلى ، وهو فى لحن العامة ٢١١ (بتحقيقنا) وهذه الرواية بلا خلاف فى ديوان المعانى ٣٤٦/١ والمخصص : ٨٥/٤ واللسان (بنق) وتثقيف اللسان ٢٠٢ والمنجد لكراع : ٨٩ .

وهو فى ديوان المجنون : ٢٠٣ وروايته :

يضم على الليل أطراف حبكم   كما ضم أطراف القميص البنائق

ومثله فى الأغانى ٦١/٢ أما فى نهاية الأرب : ٦٣/٢ فنسبه إلى ابن ميادة ، وروايته :

يضم إلى الليل أذيال حبها   كما ضم أردان القميص البنائق

(٣) فى الجمهرة : ٣٢٣/١ : وبنيقة القميص هى التى تسمى التخارص والدخاريص بالدال ، والواحدة دخرصة ، والجمع بنيق وبنائق ، فارسى معرب . وراجع أيضاً : ٣٢٠/٣ من الجمهرة .

ما يوصَل به البدن ليوسعه ، واحدتها دِخْرِصة ودِخْرِص[1].

قال الرادّ : والذى يوصَل به البدن ليوسعه هو الذى تقول له العامة : البنايق ، فلم يضعوا إذًا الشىء فى غير موضعه ، على هذا القول .

٧ – غرنوق

وقال أيضاً : « ويقولون للطائر : غُرنُوق . والغُرْنوق والغِرْنَوْق والغُرانِق الرجل الشاب الناعم . فأما الطائر فهو الغُرْنَيْق[2] .

قال الرادّ : قد حكى الخليل أنه يقال لواحد الغرانيق التى هى طير الماء غُرْنَيْق وغُرْنُوق ، بضم الغين والنون . وحكى مثل ذلك أبو حاتم فى « كتاب الطير »[3] . وقال ابن سيده فى « المحكم » : الغُرْنُوق والغُرْنَيْق طائر أبيض ، وقيل هو طائر أسود من طير الماء[4] .

وما جاء فيه عن العرب لغتان فلا معنى لتلحين العامة به . وحكى السيرافى أيضاً أن الغُرْنَيق السريع .

وذكر سيبويه الغُرْنَيق فى بنات الأربعة . وذهب إلى أن النون فيه أصل لا زائدة .[5]

---

(١) اللسان (دخرص) : والدخرصة والدخريص من القميص والدرع ، واحد الدخاريص ، وهو ما يصول به البدن ليوسعه .

(٢) لحن العامة : ٢٢١ وليس فيه : والغرنوق ، وقد أضفناها فى تحقيقنا نقلا عن ابن هشام .

(٣) نقل عنه ابن السيد فى الاقتضاب : ١١٠ والبغدادى فى خزانة الأدب ١/٣٩٤ — ٨٣/٣ ، ٢٠٦ — ٤/٣٠٠ والعينى فى شرح الشواهد ٤/٤٥٧

(٤) اللسان (غرنق) وزاد فيه : طويل العنق .

(٥) اللسان (غرنق) قال ابن جنى : وذكر سيبويه الغرنيق فى بنات الأربعة ، وذهب إلى أن النون فيه أصل لا زائدة ، فسألت أبا على عن ذلك فقلت له : من أين له =

قال الراذ : فأما الرجل الشاب فيقال فى صفته : غُرنُوق على وزن فُرفُور[1] ، وغِرْنِيق على وزن قِنْدِيل[2] ، وغُرانق على وزن عُذافِر[3] ، وغَرَوْنَق على وزن فدوكس[4] ، وغِرْناق على وزن سِرْبَال[5] .

وقال الراجز :

يالَلرجالِ لِلمشيبِ العائقِ
غَبَّرَ لونَ الشَّعَرِ الغُرانِقِ

وقال آخر :

لا ذنبَ لى كنتُ امرءًا مُفَنَّقًا
أغيدَ نَوَّامَ الضُّحَى غَرَوْنَقًا[6]

٩ — نبـــلة

وقال أيضاً : « ويقولون نَبلةِ ، لواحد النَّبْل . وذلك خطأ ، لأن النَّبْل عند العرب جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، مثل الخَيْل والغَنَم ، وواحد النَّبل سهم أو قِدْح ، كما أن واحد الخيل فرَس »[7] .

ــــ ذلك ، ولا نظير له من بنات الأربعة يقابلها . . . فلم يزد فى الجواب على أن قال : قد ألحق به العليق والإلحاق لا يوجد إلا بالأصول .

(١) الجمهرة : ٢/٣٨٣

(٢) اللسان : (غرنق)

(٣) الجمهرة : ٣/٣٨٣

(٤) اللسان (غرنق)

(٥) اللسان (غرنق)

(٦) اللسان (فنق) بلا خلاف .

(٧) لحن العامة : ١٣٩ وتصحيح التصحيف : ٣٠٥

قال الرادّ : قد حكى ابن جنى أن واحد النَّبْل نَبْلة ، فلا معنى لإنكارها على العامة وإن قلَّت[1] .

١٠ — دفتر

وقال أيضاً : « ويقولون : دِفْتَر بكسر أوله . والصواب : دَفْتَر بالفتح ، على مثال : فَعْلَل »[2] .

قال الرادّ : قد جاءت عن العرب فيه لغات ، حكى بعضهم أنه يقال دَفْتر ودِفْتَر ، بفتح الدال وكسرها ، وتَفتر[3] ، بإبدال الدال تاء .

١١ — قنفط

وقال أيضاً : « ويقولون (٤ — ب) للدُّوَيْبَّة المُلَبَّسَةِ الظهرِ بالشَّوْك : قُنفُط . والصواب : قُنفُذو قُنفَذ »[4] .

قال الرادّ : قد حكى اللغويون قُنفُط وقنفَط ، بالطاء ، فلا معنى لإنكارها على العامة . فأما قول عامة زماننا : قَنفُود بزيادة واو بعد الياء ودال غير معجمة فلحن .

---

(١) فى اللسان (نبل) قال أبو حنيفة : وقال بعضهم واحدتها نبلة ، والصحيح أنه لا واحد له إلا السهم ، التهذيب : إذا رجعوا إلى واحده (أى النبل) قيل سهم .

(٢) لحن العامة : ١٦٨

(٣) فى القاموس المحيط (تفتر) : التفتر لغة فى الدفتر .

(٤) لحن العامة : ٩٢

١٢ ـ أنشدت المـال

وقال أيضاً : « ويقولون : أنشدتُ المالَ فى الأسواق . والصواب : أشدته .

قال يعقوب : أشدت بذكره ، ورفعت ذكره »[١] .

قال الرادّ : هذا تعسُّف على العامة ، بل جائز أن يقال : أنشدت المال فى الأسواق ، إذا عرَّفته ، كما تقول : أنشدت الضالَّة ، إذا عرَّفتها ، لأن الضالَّة إنما هى كناية عما يضل من المال وغيره ، فلا معنى لإنـكار هذا عليهم .

١٣ ـ وتد

وقال أيضاً : « ويقولون : وتَد فيفتحون التاء . والصواب : وتِد »[٢] .

قال الرادّ : قد حكى اللغويون فى وتد ثلاث لغات ، وتِد بكسر التاء ، ووتَد بفتحها ، وَدّ بالإدغام[٣] .

(١) ليس فى مخطوطة لحن العامة ، وقد نقلناه فى تحقيقنا عن تصحيح التصحيف للصفدى : ٨١ وأيدناه بما جاء هنا (ملحق تحقيقنا : ٢٥١) .

(٢) تصحيح التصحيف : ٣٢١ وملحق تحقيقنا : ٢٩٤

(٣) اللغات الثلاث فى الصحاح (وتد) والأخيرة لغة أهل نجد (الصحاح ودد) .

١٤ – طابع

وقال أيضاً : ويقولون للطين الذى يختم به : طابِع . والصواب : طابَعٌ بالفتح »[١] .

قال الرادّ : حكى أبو العباس ثعلب وغيره من اللغويين أنه يقال للذى يُطبَع به : طابع وطابع بكسر الباء وفتحها[٢] . فأما الرجل الذى يطبع فطابِع بالكسر لا غير . قال الراد : ويقال للطابَع أيضاً : مِطبَع ومِثْفَق ، قال الأعشى :

ولا المَلِكُ النُّعمانُ يوم لقيته بإِمَّتِهِ يُعطِى القُطوطَ ويأْفِقُ[٣]

١٥ – خرت

وقال أيضاً : « ويقولون لثَقْب الإبرة : خَرْت . والصواب : خُرْتَة الإبرة وخُرْتُها »[٤] .

قال الراد : قد حكى اللغويون : خَرْت وخُرْت ، بفتح الخاء وضمها .

---

(١) تصحيح التصحيف : ٢١٦ وملحق تحقيقنا : ٢٧٤

(٢) اللسان (طبع) : والطابع والطابع بالفتح والكسر الخاتم الذى يختم به ، الأخيرة عن اللحيانى وأبى حنيفة .

(٣) البيت فى الديوان : ٢١٩ والصحاح (قطط) وفيه بغبطته ومثله فى الاقتضاب : ٩٣ بدل بإمته . والإمة النعمة ، والقطوط : الكتب والصكوك بالجائز ، ويأفق : يطبع ويختم .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٤٣ وملحق تحقيقنا : ٢٦١

قال ابن سيده : الخَرْت والخُرْت الثَّقب فى الأذن وغيرها . والجمع أخْرات وخرُوت[1] .

١٦ — إجاص

وقال أيضا : « ويقولون للكُمَّثْرى : إجّاص . والإجَّاص ضرب من المشمش »[2] .

قال الراد : قال أبو حنيفة : الإجَّاص عند أهل الشام الكُمَّثْرى ، ويسمون الإجَّاص المشمش[3] . قال الراد : فإذا كانت لغة شامية فكيف تلحَّن بها العامة . وحكى الأستاذ أبو محمد بن السِّيد — رحمه الله — « أن قوماً من اليمن يبدلون من الحرف الأول من الحرف المشدد نوناً ، فيقولون فى إجاص : إنجاص ، وفى إجَّانة : إنجانة »[4] . فقول عامة زماننا : إنجاص ليس بلحن أيضاً ، لما حكاه اللغويون[5] .

١٧ — داليـــة

وقال أيضا : « ويقولون للعِنَبِ المُعَرَّش : دالية . والدالية التى تدلو الماء من البئر أو النهر ، أى تستخرجه[6] .

---

(١) النص فى اللسان (خرت) وزيد فيه بعد الأذن . والإبرة والفأس .

(٢) لحن العامة : ٢٢٤ .

(٣) اللسان (مادة : مشمش) .

(٤) الاقتضاب لابن السيد : ١٩٥ ولكنه قال بعد ذلك : « وهذه لغة لا ينبغى أن يلتفت إليها ، فإن اللغة اليمانية فيها أشياء منكرة خارجة عن المقاييس . وإنما ذكرنا هذا ليعلم أن لقول العامة مخرجاً على هذه اللغة .

(٥) راجع ما كتبناه عن ظاهرة « التغاير » وتفسير اللحن فى ضوئها ، فى كتابنا « لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » .

(٦) هذا النص لم يرد فى مخطوطة كتاب الزبيدى ، ولا فى تصحيح التصحيف . وقد اعتمدنا على ما جاء هنا فأثبتناه فى ملحق تحقيقنا : ٢٩٧ .

قال الراد : حكى أبو حنيفة أن الدَّوالى جنس من أعناب أرض العرب . فإذا كانت العرب تسمى جنساً من (٥ — أ) أعنابها بالدَّوالى[١] ، فلا معنى لإنكاره على العامة . إلا أن العامة تعُمُّ بهذا الاسم جميع الأعناب ، وهو عند العرب واقع على جنس مخصوص .

١٨ – أرياح

وقال أيضا : « ويقولون لجمع الرِّيح : أَرْياح . والصواب : أَرْواح »[٢]

قال الراد : حكى أبو حنيفة أن لغة بنى أسد أن يجمعوا الريح على أرياح[٣] ، على لفظ الواحد . وكذلك حكى اللِّحيانى فى نوادره . ومثله عيد وأعياد ، وأصله الواو لأنه من عاد يعود ، لأنه يعود فى كل سنة . وطردوا ذلك فى التصغير ، فقالوا عُيَيْد[٤] وكان قياسه عُويداً وأعواداً ، كرويحة وأرواح . وكثيراً ما تقلب العرب الواو ياء طلبا للخِفَّة ، كقولهم : دَيَّمُوا ، والأصل دَوَّمُوا[٥] ، وكقولهم المَيَاثِيق فى المَواثيق[٦] ، وهو من الوثيقة ، وما كان لغةً للعرب لا تُلحَّن به العامة .

---

(١) ذكر يوهان فك فى كتابه « العربية » : ١٩٨ أن لفظ دالية بمعنى عنقود العنب مأخوذ عن اللغة الآرامية .

(٢) تصحيح التصحيف : ٦١ ولم يرد فى المخطوطة . واللفظ فى تصحيح التصحيف ليس للزبيدى بل للحريرى فى درة الغواص .

(٣) جاءت أرياح جمعا لريح فى شعر عمارة بن عقيل ، فأنكرها عليه أبو حاتم (راجع فى ذلك : الخصائص : ٣ / ٢٩٥ و ١ / ٣٥٦ ومجالس العلماء للزجاجى : ١٩٣) .

(٤) جاء فى شرح ابن عقيل : ٢ / ٤٨٥ : « وشذ قولهم فى عيد : عُيَيْد . والقياس عويد بقلب الياء واواً ، لأنها أصله ، لأنه من عاد يعود » .

(٥) الخصائص : ١ / ٣٥٥ : ديَّمت السماء ودَوَّمت ، فأما دومت فعلى القياس وأما ديمت فلاستمرار القلب فى ديمة وديم . وأنشد أبو زيد :

هو الجواد ابنُ الجواد ابن سَبَلْ ... إن دَوَّموا جاد وإن جادوا وَبَلْ

(٦) وعليه قول الشاعر :

١٩ — دابة لا تردف

وقال أيضا : « ويقولون : أردفت الرجل إذا جعله خلفه راكباً » . ثم قال في آخر الفصل : « ويقال : دابَّة لا تُرادِف أى لا تحمل رَدِيفاً . وقولهم : لا تُردِف ، خطأ »[١] .

قال الراد : ليس بخطأ ، بل هى لغة صحيحة ، حكى ابن سيده وغيره أنه يقال : دابة لا تُرادِف ، ولا تُردِف[٢] ، أى لا تقبل رَدِيفاً .

٢٠ — غربال

وقال أيضا : « ويقولون للذى يَنخُل[٣] الحنطة : غِرْبال . والصواب : مُغَرْبِل »[٤] .

قال الراد : الغرْبال فى لغة العرب أشهر من أن يحتاج إلى شاهد ، قال الراجز :

= رحى لا يَحل الدهرَ إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عقدَ المياثق

وهو من إصلاح المنطق : ١٣٧ وفيه من الأمثلة : على ما ذكره ابن هشام ، المباثر والمواثر ، والصواغ والصياغ وغير ذلك (راجع إصلاح المنطق : ١٣٥ — ١٤٤ ، والمخصص لابن سيده : ١٩/١٤ وما بعدها) .

(١) تصحيح التصحيف : ٦٢ ولم يرد فى مخطوطة الزبيدى . وقد أوردناه فى ملحق تحقيقنا : ٢٤٦ .

(٢) من مؤلفى كتب اللحن الذين عدوا تردف خطأ — كما عدها الزبيدى — ابن السكيت فى إصلاح المنطق : ٢٩٧ وثعلب في الفصيح (التلويح : ١٤٩) والحريرى في درة الغواص : ٩٦ وابن الجوزى فى تقويم اللسان (بتحقيقنا) : ١٠٤ .

(٣) فى تصحيح التصحيف : ٢٣٧ ينخل به .

(٤) لم يرد في مخطوطة الزبيدى ، وهو فى تصحيح التصحيف : ٢٢٧ وملحق تحقيقنا : ٢٧٧ .

يجرُّ أذيالًا على أذيالِ
يترك حالَ التُّرْبِ كلَّ حالِ
كأنما غُرْبِلِ بالغِرْبالِ

وقال الحطيئة :

أغِرْبالًا إذا استُودِعتَ سِرًّا وكانُونًا على المتحَدِّثِينا[1]

وقال ابن سيده : غَربَلْتُ الشيء غَرْبلةً ، أي نخلْتُه ، والغِرْبال ما غربلتَه به . والمفعول مُغَرْبَل ، قال الشاعر[2] :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرْمَلَهْ
ترى الملوكَ حولهُ مغربَلَهْ
يقتل ذا الذَّنبِ ومن لا ذنبَ لَهْ[3]

أي ينتقى السادة فيقتلهم[4] . وقد قيل فيه غير ذلك[5] .

---

(١) البيت فى ديوان الحطيئة : واللسان (كنن) والكانون الثقيل من الناس .
(٢) الراجز هو عامر الخصفى كما فى جمهرة ابن دريد : ٣ / ٣٠٩ .
(٣) الرجز فى اللسان (غربل) والبيتان الأخيران فى الصحاح (غربل) وفى الجمهرة : ٣ / ٣٠٩ : مرعبلة بدل مغربلة ، من رعبلت اللحم رعبلة ، إذا قطعته ، قال : ويروى : مغربَلة .
(٤) اللسان (غربل) .
(٥) قال أبو عبيد : المغربل المقتول المنتفخ ، وأنشد هذا الرجز . (الصحاح : غربل) .

٢١ – ضفدع

وقال أيضا : ويقولون : ضِفْدَع بفتح الدال . والصواب : ضِفْدِع بالكسر ، على مثال فِعْلِل »[١] .

قال الراد : قد جاء عن العرب فى ضفدع ثلاث لغات : ضِفْدِع بكسر الضاد والدال . وضِفْدَع بكسر الضاد وفتح الدال ، كما تنطق به العامة ، على ما حكى أبو بكر[٢] ، وضُفْدَع بضم الضاد وفتح الدال[٣] ، وهى أقلها . فأما قول عامة زماننا : ضَفْدَع بفتح الضاد والدال فلحن .

٢٢ – الكلبتان

وقال أيضاً : « ويقولون للآلة التى يُمسك القَيْنُ[٤] بها الحديدَ عند الإيقاد والضرب : كَلْبَتَان . والمعروف[٥] من كلامهم الكلاليب ، واحدها : كُلاَّب وكَلُّوب »[٦] .

---

(١) لحن العامة : ١٣٤ .

(٢) فى الصحاح (ضفدع) : الضفدع مثل الخنصر . . . وناس يقولون ضفدع بفتح الدال . قال الخليل : ليس فى الكلام فعلل (بكسر الفاء وفتح اللام) إلا أربعة أحرف . درهم ، وهجرع ، وهبلع ، وقلمع ، وهو اسم .

(٣) فى القاموس المحيط (ضفدع) : الضفدع كزبرج وجعفر وجندب ودرهم . وهذا أقل أو مردود . وفى الاقتضاب : ٢٠٦ حكى أبو حاتم فى ضفدع أن فتح الدال لغة . وقد حكى ضفدع بضم الضاد وفتح الدال وهو نادر ذكره « المطرز » .

(٤) فى لحن العامة : يمسك بها القين .

(٥) فى لحن العامة : والصواب المعروف .

(٦) لحن العامة : ١٧٣ بتحقيقنا .

قال الراد: قد قال الخليل في «كتاب العين» وهو المرجوع إليه، والمعوَّل عليه إن الكُلاَّب (ه — ب) والكَلُّوب لغتان، وهي خشبة في رأسها عُقَّافة، منها أو من حديد، أو هي كلها من حديد. فأما الكَلْبتان[1] فالذي يكون مع الحدَّادين ونحو ذلك. قال الراد: فإذا حكاها الخليل في كتابه عن العرب، فكيف تكون غير معروفة، وكيف تُلحَّن بها العامة؟

٢٣ — جارية عزبة

وقال أيضاً: «ويقولون: جارية عَزْباء للبِكْر. والصواب: عَزَبَة، وهي التي لا زوج لها، كانت بكْرا أو ثَيِّباً»[2].

قال الراد: بل الصواب: جارية عَزَب، بغير هاء. وقد أخذ أبو إسحاق الزَّجَّاج على أبي العباس ثعلب في قوله: وامرأة عزبة، وزعم أنه خطأ[3]. قال أبو إسحاق: وإنما يقال: رجل عَزَب، وامرأة عزب، لأنه مصدر وصف به، لا يُثنَّى ولا يجمع ولا يؤنث، كما يقال: رجل خَصْم، وامرأة خصم، ولا يقال: خَصْمة. واحتج على ذلك بقول الشاعر:

يا مَن يَدُلُّ عَزَباً على عَزَبْ
على ابنة الُحمارسِ الشيخ الأزَبْ[4]
كأن لحم كَينِها إذا انقلَبْ

(١) أورده صاحب القاموس (كلب) قال: والكلبتان ما يأخذ به الحدَّاد الحديد المحمى.

(٢) لحن العامة: ٢٠٠، ٢٠١ وفيه: بكرا كانت أو ثيبا.

(٣) في هامش نسخة م تعليق نصه: من كونه غير فصيح. وقد حكاه ابن الأعرابي في نوادره. فلا تنكره.

(٤) الرجز في اللسان والأساس (عزب) والمخصص: ٤ / ٢٣.

رُمَّانَةٌ فُتَّتْ لمحمومٍ وَصِب

فإذا جمعت قلت : أعزاب ، كما قالوا بطَل وأبطال ، وبَرَم وأبرام ، ولا يمتنع إذا كان للمذكر[1] من الواو والنون ، فتقول : عَزَبُون .

٢٤ — شبع

وقال أيضاً[2] : « ويقولون : هم فى شِبْع . والصواب : شِبَع . تقول : شَبِع شِبَعاً حسَنا . قال امرؤ القيس :

فتوسِعَ أهلَها أقطاً وَسمْناً وحسبكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ[3]

قال الراد : قد جاء شِبْع بإسكان الباء فى المصدر . قال الشاعر[4] :

وكلُّهمُ قد نال شِبْعاً لبطنِهِ وشِبْعُ الفتى لُؤْمٌ إذا جاع صاحِبُهُ»[5]

فالشِّبْع ها هنا مصدر[6] ، لأن اللؤم إنما توصف به الأفعال لا الذوات ، ولكن الأكثر فى المصدر أن يأتى بفتح الباء . فأما الشِّبْع بسكون الباء فالمقدار الذى يُشبِع الإنسان . وقول عامة زماننا : شَبَع ، بفتح الشين لحن .

---

(١) م : المذكر .

(٢) لم يرد هذا النص فى مخطوطة لحن العامة ، وجاء فى تصحيح التصحيف : ١٩٧ وليس فيه قوله : تقول : شبع شبعاً حسنا . واقتصر على الشطر الثانى من البيت .

(٣) البيت في ديوانه : ١٣٧ بلا خلاف ، وفي الصحاح (ممن) فتملأُ بيتنا .

(٤) هو بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة .

(٥) اللسان (شبع) .

(٦) جرى فى اللسان على أن الشبع هنا هو الطعام المشبع ، وأوَّل البيت على حذف مضاف ، كأنه قال ونيل شبع الفتى لؤم . وذلك لأن الشبع جوهر وهو الطعام المشبع . ولؤم عرَض ، والجوهر لا يكون عرَضاً . فاذا قدرت حذف المضاف وهو النيل كان عرضاً كاللؤم .

٢٥ – امرأة أرملة

وقال أيضاً : « ويقولون : امرأة أرَملة و نسوة أرامل للنساء اللاتى هلك عنهن أزواجهن[١] . والأرملة المحتاجة » .

قال الراد : كان ينبغى له ألا يُدخل مثل هذا فى لحن العامة ، لأنه قد قال به كثير من اللغويين . وما حكاه بعض أهل اللغة لا تلحّن به العامة .

قال ابن الأعرابى — رحمه الله — الأرملة التى مات عنها زوجها . قال الراد : وهذا الذى قاله ابن الأعرابى هو المعروف الذى يستعمله الناس قديماً وحديثاً . واشتقاق الأرملة من الإرمال ، وهو ذهاب الزاد ونفاده ، يقال : أرمل القوم فهم مُرمِلون إذا فَنِى زادُهم ، فسُمِّيت المرأة (٦ — ١) التى مات عنها زوجها أرملة لما ينالها فى الأغلب من الحاجة ، وشدة الحال ، عند بُعد زوجها المنفق عليها والقائم بأمرها . وقد يسمى الرجل المحتاج أرملاً ، على وجه التشبيه بالمرأة الأرملة ، فى الفقر وضعف الحال . وقول جرير :

* فَمن لحاجَةِ هذا الأرملِ الذَّكَرِ *[٢]

---

(١) قوله : « للنساء اللاتى هلك عنهن أزواجهن » لم يرد فى مخطوطة لحن العامة وقد أضفناه فى تحقيقنا ص ٢٢٥ استناداً إلى ما جاء هنا .

وفى نسختى رد ابن هشام : التى ، بدل اللاتى .

(٢) صدر البيت :

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها

ولم أجد البيت فى ديوان جرير ، وفيه قصيدة من بحره وقافيته : ٢٧٤ يمدح بها عمر ابن عبد العزيز ، والبيت فى اللسان والتاج والأساس (رمل) والمنجد لكراع : ٦٩ وتثقيف اللسان : ٢١٢ . ولحن العامة للزبيدى : ٢٢٦ .

يفهم منه أن هذه اللفظة موضوعة فى الأصل للإناث ، وإنما جعلها للذكر على وجه الاستعارة والتشبيه ، ولازدواج الكلام . ولذلك قال : الأرمل الذكر . كأنه قال : فمن لهذا الذكر الذى قد أشبه الأرامل ، وصار مثلهن فى الفقر والحاجة . وقد قال ابن قتيبة : إذا قال الرجل : هذا المالُ لأراملِ بنى فلان فهو على طريق اللغة للرجال والنساء ، لأن الأرامل يقع على الذكور والإناث ، واحتج بقول الشاعر :

أُحِبُّ أن أصطاد ضَبًّا سَحْبَلا
رَعى الرَّبيعَ والشِّتاء أرملَا(١)

قال : أراد لا أنثى له ، لأنه إذا سَفِد هُزِل . فقد أبان ابن قتيبة أن هذه اللفظة إنما تقع فى اللغة على من لا زوج لها من النساء ، وعلى من لا زوجة له من الرجال . وعاب ابن الأنبارى على ابن قتيبة إيقاعه هذا الاسم على الرجال ، وقال : إن المرأة التى مات عنها زوجها يقال لها أرمَلة ، لما يقع بها من الفقر وذهاب الزاد ، بعد موت عشيرها وَقيِّمها . والرجل الذى تموت امرأته يقال له: أَيِّم ، ولا يقال له أرمَل ، إذ ليس شأن الرجل أن يفتقر ويذهب زاده بموت امرأته ، إنما ذلك واقع بالنساء ، إذ كان الرجال هم المنفقين عليهن . قال الله سبحانه : ﴿ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٢) قال : وقول الشاعر :

فَمَن لِحاجَةِ هذا الأرمَلِ الذَّكَرِ

لم يرد بالأرمل الذى ماتت امرأته ، بل أراد الفقير الذى نَفِدَ زادُه .

---

(١) اللسان (رمل ، سحبل) والتاج (رمل) ولحن العامة للزبيدى : ٢٢٦ .
(٢) سورة النساء : ٣٤ .

ثم بين المعنى بقوله : « الذكر » . وكذلك قول الآخر :

رعى الرَّبيعَ والشِّتاء أرملا

ليس فيه حجة ، لأنه أراد الربيع والشتاء الأرمل ، أى الشتاء المُذهِبَ أزواد الناس . فالأرمل من صفة الشتاء ، ليس من صفة الضَّبّ ، وإنما نصب على القطع من الشتاء . قال : وبعدُ ، فالغالب على الأرامل فى تعارف القدماء ، والخاصة والعامة ، أنهن النساء دون الرجال ، فإن (٦ — ب) قال شاعر فى ضرورة شعر : « رجل أرمل » لم ينقُضْ بذلك العادةَ الجاريةَ ، كما لو قال : « مالى فى الرجال » لم يُعطِ الإناث ، وإن كانت المرأة يقال لها : الرَّجُلة . فكذلك إذا قال : « هذا المال للأرامل » فهو للنساء اللاتى مات أزواجهن ، وليس للرِّجال فيه حظٌّ . قال الراد : وهذا كله يشهد لصحة قول العامة .

٢٦ — جمع سوداء

وقال أيضاً : «ويقولون لجمع السوداء : سَوْدَانات . والصواب: سَوداوات وسُودٌ» (١) .

قال الراد : أما سُودٌ فصحيح . وأما سوداوات فخطأ ، لأن سوداء لا تجمع فى الصفة على سوداوات . وكذلك كل صفة على فَعْلاء ولها مذكر على أفعل ، مثل حمراء وأحمر ، وبيضاء وأبيض ، لا يجمع شىء من ذلك جمع سلامة لا المذكر بالواو والنون ، ولا المؤنث بالألف والتاء . وهذا منصوص لسيبويه وغيره من النحويين . ولا أعلم بينهم فيه اختلافاً . وقد حكى أبو بكر ذلك عن سيبويه، وخالفه فى جمعه سوداء على سوداوات وزعم أنه الصواب .

---

(١) تصحيح التصحيف : ١٩٤ ولم يرد فى مخطوطة لحن العامة .

قال الراد : وإنما يجمع هذا النوع من الصفات مُكَسَّراً ، إلا أن يُزال شيء منه عن موضعه ، فيجعل اسماً غير صفة ، فيجوز أن يجمع حينئذ جمع السلامة ، كما جاء : « ليس فى الخَضْرَاوات صدقة » لأنهم جعلوا الخضراء اسماً لهذا النوع من النبات . وكما قالوا الحمراوات لمواضع معروفة[1] ، أشهرها « حمراء الأسد » وهى قريبة من المدينة . وكما جمعوا بَطْحاء على بطحاوات ، لأنهم استعملوها استعمال الأسماء فجمعوها جمعها . ولو تَمَّيتَ رَجُلاً بأحمر ، أو أسود لقلت فى جمعه : الأحمرون والأسودون ، والأحامر والأساوِد. فأما فى الصفة فيجمع على فُعْل وفُعْلان كحُمْر وحُمْران وسُود وسُودان ، وأُدْم وأُدْمان .

وقد قال بعضهم للأُدْماء من الظِّبَاء : أُدمانة ، قال ذو الرمة :

لادْمانةٍ مِلْوحِشِ بينَ سُوَيْقَةٍ وبين الجبالِ العُفْرِ ذاتِ السَّلاسِلِ[2]

وعاب الأصمعى هذا على ذى الرمة ، وقال : يقال آدم وأُدمان ، وأحمر وحُمران ، فأدمانة خطأ لأنه جعله واحداً وهو جمع . وقال غير الأصمعى : إنما جعله مثل خُمْصانة ، يريد أنه صاغ من الأدمة (٧ — أ) اسماً مفرداً على فُعْلان ، مثل خُمْصان وعُرْيان ، ثم ألحقه تاء التأنيث كما تلحق فى هذا النحو ، فقالوا أدمانة ، كما قالوا خُمصانة وعُرْيانة . قال أبو إسحاق الطرابلسى النحوى: وقياس من قال أُدمانة أن يقول فى الجمع أُدمانات ، كما يقال فى جمع خمصانة خُمْصانات . قال الراد : ولا يمتنع على هذا أن يقال سُودانة وسُودانات كما تقول العامة ، إلا أنهم يفتحون السين ، وحقها على هذا أن تضم . ولا أعلم هذا مسموعاً .

---

(١) راجع معجم البلدان : ٢/٣٣٣ .
(٢) الديوان : ٤٩٥ .

وإنما قلته على طريق التجويز والإمكان لأن له نظيراً من كلام العرب ، كما أريتك ، والله أعلم .

٢٧ — مكنى

وقال أيضاً : « ويقولون : هو مُكْنَيً بأبى فلان . والصواب : مَكْنِيٌّ ومُكَنًّى »(١) .

قال الراد : قد حكى ثعلب عن سلمة عن الفرّاء ، أنه يقال : كَنَيْتُه وَكَنَوْته وأكْنَيْتُه(٢) . والمفعول من أكنيته مُكْنًي على وزن مُعْطًى ، كالذى حكاه عن العامة . وأفصح اللغات : كُنِّي بالتشديد ، فهو مُكَنًّى ، وكُنِيَ بالتخفيف ، فهو مَكْنِيٌّ ، وأكنيته فهو مُكْنًي ليست بالفصيحة ، إلا أنها ليست بخطأ ، ولا يجب أن تلحّن بها العامة ، لكونها لغةً مسموعة . ومن اتسع فى كلام العرب ولغاتها لم يكد يُلحِّن أحداً . ولذلك قال أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد(٣) : « أنحى الناس من لم يُلحِّن أحداً »(٤) وقال الخليل — رحمه الله — : « لغة العرب أكثر من أن يلحن متكلم » وروى الفراء أن الكسائى قال : « على ما سمعت من كلام العرب ليس أحدٌ يلحن إلا القليل » .

---

(١) لم يرد فى مخطوطة لحن العامة . وجاء فى تصحيح التصحيف : ٢٩٥ واللفظ فيه لابن مكى لا للزبيدى ، ونصه : « ويقولون أقر المكنى بأبى فلان والصواب : المكنى ، بفتح الميم وسكون الكاف وكسر النون وتشديد الياء » .

(٢) زاد فى اللسان (كنى) عن الفراء : وكنيته (بالتشديد) وهى التى ذكر المؤلف بعد أنها أفصح اللغات .

(٣) الأخفش الأكبر ، أخذ عنه سيبويه والكسائى ويونس وأبو عبيدة .

(٤) فى هامش نسخة م : قف على هذا واعلم .

٢٨ – لوْ لِى

وقال أيضاً فى بيت عثمان بن عفان وهو :

فَلَوْ لِى قلوبُ العالَمينَ بأسرِها   لمـا مَلأتْ لِى منه معْتَبةً قَلْبا[١]

هكذا قال : « فلولِى قلوب » وأنا أستريب[٢] به ، لأن « لو » لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً »[٣] .

قال الراد : وكذلك « لو » فى البيت وليَها الفعلُ مضمراً ، وارتفاع الاسم الذى بعدها به . قال الله تعالى : (قُل لَوْ أَنتُم تَملِـكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى)[٤] فأنتم فاعل بفعل مضمر دل عليه « تَملِـكُون »[٥] . وكذلك قولهم فى المثل : « لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمْتنى »[٦] .

وكذلك قول الشاعر[٧] :

ولو غيرُ أخوالِى أرادُوا نَقيصَتِى   جعلتُ لهم فوقَ العَرانينِ مِيسَما[٨]

---

(١) فى لحن العامة : ١٠٨ ضمن أربعة أبيات .

(٢) فى لحن العامة : ١٠٩ فاستربت .

(٣) زاد فى لحن العامة : إلا مع أنّ .

(٤) سورة الإسراء : ١٠٠ .

(٥) فى المغنى ٢٦٨/١ توجيه آخر مع هذا التوجيه ، إذ قيل إنّ تملـكون خبر لـكان المحذوفة والأصل لو كنتم أنتم تملـكون . قال : وفيه نظر للجمع بين الحذف والتوكيد .

(٦) المثل فى المغنى : ٢٦٨/١ والـكامل : ٢٧٨/١ وهو فى مجمع الأمثال ١٥٢/٢ : لو غير ذات سوار لطمتنى .

(٧) هو المتلمس

(٨) ديوانه : ١ (نسخة الشنقيطى بدار الـكتب) والأصمعيات : ٢٨٧ وفيها : فلو وشرح ديوان الحماسة ٦٦/١ والـكامل للمبرد : ٢٧٩/١

وقال جرير :

لو غيرُكُم عَلِقَ الزُّبيرُ بحبلهِ أدَّى الجِوارَ إلى بَنى العَوَّامِ[1]

(٧ — ب) وقال الآخر[2] :

لو بغيرِ المـاءِ حَلقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّان بالماءِ اعتصارى[3]

فهذه كلها محمولة على الفعل المضمر عند البصريين . فإذا كان هذا فمِمَّ استراب ؟ لـكنه لم يدر كيف يُقدِّره[4] ، إذ لم يقع بعد القلوب فعل يفسره فاستراب لذلك . وتقدير الفعل : لو كانت لى ، أو خُلِقت لى ، أو استقرَّت لى ، أو ما شاكل هذا ، مما يدل عليه سياق الـكلام .

٢٩ — بحر

وقال أيضاً : « ويقولون لمـا كان مِلحاً خاصة : بحر . والبحر يكون للمِلح والعَذْب »[5] .

قال الراد : هذا الذى قاله صحيح ، إلا أن العامة لا تلحَّن بخلافه لقول جماعة من كبار أهل اللغة به ، قال أبو عبيد عن الأموى ، وقد روى أيضاً عن

---

(١) فى ديوان جرير : ٥٥٣ وفيه : ورحله ، بدل : بحبله . والبيت فى المغنى : ٢٦٨/١ غير منسوب ، وشرح شواهده منسوب (لو) والـكامل للمبرد : ٢٧٩/١ .

(٢) هو عدى بن زيد . والبيت فى ديوانه ٩٣ .

(٣) المغنى : ٢٦٨/١ وشرح شواهده (لو) ونسبه لعدى بن زيد ، كذلك فى اللسان والصحاح (شرق غصص) والمخصص : ٩٦/٩ .

(٤) في هامش نسخة م تعليق نصه : انظر قوله « لم يدر كيف يقدره » .

(٥) لم يرد فى مخطوطة لحن العامة . وهو فى تصحيح التصحيف : ٩٠ مع تقديم وتاخير فى كلمتين ، ونصه : ويقولون : بحر لما كان ملحاً خاصة . والبحر يكون للعذب والملح .

الأصمعى : المـاء البحر هو المِلح[١] ، يقال منه : قد أبحر المـاء ، أى صار مِلحاً ، قال نُصيب :

وقد صار ماء الأرض مِلحاً فزادنى
إلى مرضى أن أبحر المَشْرَبُ العَذْبُ[٢]

وقال أبو الحسن ابن فارس فى « مجمله » : ماء بحر أى مِلح ، يقال : أبحر المـاء ، إذا مَلُح . وقال ابن دريد : الأصل فى البحر أنه المـاء الملح ، ثم قالوا لـكل ماء كثير : بحر[٣] .

٣٠ ـ ظفر

وقال أيضاً : « ويقولون لواحد الأظفار : ظِفْر . والصواب : ظُفْر وأُظفور »[٤] .

قال الراد : حكى ابن جنى فى الظفر أربع لغات : ظُفْر ، وظُفُر ، وظِفْر بكسر الظاء[٥] ، كما تنطق به العامة ، وأُظفُور[٦] .

---

(١) عن أبى عبيد فى المخصص : ١٠/ ١٥

(٢) اللسان (بحر) وفيه : عاد بدل : صار .

(٣) نص الجمهرة : ١/ ٢١٧ والعرب تسمى الماء الملح والعذب بحراً إذا كثر ، وفي التنزيل (مرج البحرين يلتقيان) يعنى الملح والعذب . وعبارة المخصص : الماء الملح الـكثير .

(٤) لحن العامة : ١٣١ ولم تـكن بمخطوطته كلمة ظفر التى هى الصواب ، وأضفناها فى تحقيقنا اعتماداً على ما جاء هنا .

(٥) قال ابن دريد فى الجمهرة ٢/ ٣٧٧ : ولا يقال : ظفر (بكسر الظاء) وإن كانت العامة قد أولعت به .

(٦) الجمهرة : ٢/ ٣٧٧

٣١ — مرد

وقال أيضاً : « ويقولون : تاجر مُرِدّ ، ومُخسِر ، ومُرْبِح . والصواب : رادٌّ ، وخاسِرٌ ، ورابِح ، لأنه من ربح ، ورد ، وخسر »(١) .

قال الراد : يجوز أن يقال : مُرِدّ ، ومُخسِر ، ومُربِح ، على تأويل أنه صار ذا رِبْح فى ماله ، أو ذا خَسارة فيه ، أو ذا رَدٍّ . ومجىء « أفعل » بمعنى الصيرورة من حال إلى حال كثير فى كلامهم . وهو باب مطرد لا يمتنع من القياس عليه . قال سيبويه : تقول أجرب الرجلُ ، وأنحز ، وأحال ، أى صار صاحب جرَب ، ونُحاز ، وحِيال فى ماله . ومثل ذلك : رجل مُشِدّ ، ومُقوٍ ، ومُقطِف ، أى صاحب شدة وقوة وقطاف فى ماله . ومثله : ألأم الرجلُ ، أى صار صاحب لائمة(٢) . قال : ومثل المُقطِف والمُجرِب : المُعسِر والمقتِر والموسِر والمُغِلّ .

٣٢ — يتهكم

وقال أيضاً : « ويقولون : فلان يَتَهكَّم بفلان ، أى يهزِل به . وإنما المتهكِّم الغاضب »(٣) .

قال الراد : المتهكم عند العامة إنما هو الزارى العابث (٨ — أ) المتهزِّئ . وكذلك هو عند العرب . قال ابن سيده : المتهكم المتهزئ ، وقد تهكَّم بنا ،

---

(١) لحن العامة : ١٧٧

(٢) الصحاح (لأم) عن ابن دريد .

(٣) ليس فى المخطوطة ، وقد نقله الصفدى عن الزبيدى : تصحيح التصحيف : ٣٢٦

أى زرى علينا وعبث (بنا)[1] . هذا الذى تريده العامة بالمتهكم . ويكون المتهكِّم أيضاً المتغنى . وقد تهكمت له ، وهكّمته غَنّيته . والمتهكم أيضاً المتكبر ، وهو الذى يتهدّم عليك من الغيظ والحمق . وتهكمت البئر : تهدّمت ، من ذلك .

٣٣ ـ قطاطيس

وقال أيضاً : « ويقولون لجمع القِطّ : قطاطيس . والصواب : قِطاط وقُطُوط »[2] .

قال الراد : أما قطاطيس فليس بجمع لِقِطٍّ ، كما ظَنَّ ، وإنما هو جمع لِقِطَّوْس[3] ، وهو من أسماء القِط ، فجمعوا قِطَّوْساً على قَطاطِيس، كخِنَّوْص ، وهو ولد الخنزير ، والجمع خنانيص . قال الأخطل :

أكلتَ الدَّجاجَ فأفنيتَها فهل فى الخنانيصِ من مَغْمَزِ[4]

إلا أنهم استعملوا من أحد الاسمين الواحدَ فقالوا : قِطٌّ . واستعملوا من الثانى الجمع فقالوا : قطاطيس . وللقط ستة أسماء : قِطّ ، والأنثى قِطَّة ، والجمع قِطاط وقُطوط وقِطَطَة . وهِرّ ، والأنثى هِرَّة ، والجمع هِرَرَة . وسِنَّور ، والأنثى سِنَّورة ، والجمع سنانير . وقِطَّوس ، والجمع قطاطيس .

---

(١) اللسان (هكم)

(٢) تصحيح التصحيف : ٢٥٤ وفيه : قطط بدل قطاط . والأخير هو المشهور . وقد جاء قطط فى المصباح .

(٣) ذكر شارل كوينتز أن القطوس دخيل من اللغة البربرية (مجلة مجمع اللغة العربية : ٨/٣٣٠) وذكر يوهان فك أنه من اللغة المصرية (العربية : ١٩٧)

(٤) فى الصحاح واللسان (قطط) وفيهما : القطاط بدل الدجاج . وفى اللسان (خنص): الدجاج . وفيه (غطط) : الغطاط (القطا) .

وضَيْبَون ، والجمع ضَيَاوِن . وحكى صاعد[١] فى كتاب « الفصوص »[٢] . أن الدم اسم من أسماء السِّنَّوْر[٣] ، وأنشد :

تَرى الدَّمَ منها مُرْصِداً للعَكابِرِ

قال : والعكابر اليرابيع[٤]

وحكى بعضهم أن من أسمائه : الخَيْطل ، والطُّوَّاف ، والخازباز ، والَخدَّاش والمِخْدِش ، وذكر أسماء كثيرة .

٣٤ — ما جاء على فعلت والعامة تكسره

وقال أيضاً : « ومما جاء على فعلت مفتوح العين ، والعامة تكسره قولهم ، عَرفت ، وعَقلت ، ومَلكت ، وكَسبت ، وعَجزت ، ونَكات »[٥] .

قال الراد : أما عجَزت فالأفصح فتح الجيم ، وبذلك قرأ الجماعة . وعجِز بكسر الجيم ، لغة ، وقد قرئ بها[٦] . وما كان لغة للعرب لا تلحّن بها[٧]

---

(١) صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادى ، لغوى أديب ، صحب السيرافى والفارسى والخطابى وروى عنهم ؛ أصله من الموصل ورحل إلى الأندلس ، وكان من متقدمى ندامى المنصور بن أبى عامر ، ألف كتاب « الفصوص » كأمالى القالى : توفى بصقلية عام ٤١٧هـ (بغية الوعاة ٢/٧) .

(٢) مخطوط ، توجد نسخة منه فى المغرب (مكتبة الكتانى رقم ١٦٦٨) .

(٣) فى اللسان (دما) والدم : السنور ، حكاه النضر فى كتاب « الوحوش » وأنشد كراع :

كذاك الدم يأدو للعكابر

(٤) فى اللسان : ذكور اليرابيع

(٥) لم يرد فى مخطوطة لحن العامة ، ولا فى تصحيح التصحيف للصفدى .

(٦) الآية ٣١ من سورة المائدة .

(٧) نسخة م : به

العامة ، وإن كان غيرها أفصح منها . ويقال أيضاً : عَجِزت المرأة ، بكسر الجيم إذا عظُمت عَجيزتها ، وعجَّزت ، بتشديد الجيم ، إذا صارت عَجوزاً . وأما نَكلت فالأفصح فتح الكاف ، ونَكِل ، بكسر الكاف ، لغة ، والمضارع ينكُل بضم الكاف . ولم يأت فَعِل يفعُل ، بكسر العين فى الماضى وضمها فى المستقبل إلا فى سبعة أفعال شذّت ، وهى : نَكِل ينكُل[1] ، وفَضِل يفضُل[2] ، ونَعِم ينعُم[3] ، وحَضِر يحضُر[4] ، وشَمِلهم الأمر يشمُلهم[5] . ومن المعتل مِتّ تَمُوت (٨ — ب) ودِمْت تدوم[6] .

٣٥ — ما جاء على فعلت والعامة تفتحه

وقال أيضاً : « ومما جاء على فَعِلت مكسور العين ، والعامة تفتحه ، قولهم : لجِجت ، وغصِصت »[7] .

قال الراد : قد جاء لجِجت ولَججت[8] ، وغصِصت وغصَصت ،

---

(١) الصحاح (نكل) : ونكل كنصر عن العدو وعن اليمين ينكل بالضم ، أى جبن ... وقال أبو عبيدة : نكل بالكسر لغة فيه ، فأنكره الأصمعى .

(٢) الخصائص : ١/٣٧٨ وليس فى كلام العرب : ٣٧

(٣) الخصائص : ١/٣٧٥ وليس فى كلام العرب : ٣٧

(٤) الخصائص : ١/٣٧٨

(٥) فى الصحاح (شمل) : لغتان : من باب علم . ومن باب نصر لغة ولم يعرفها الأصمعى .

(٦) مت تموت ودمت تدوم : فى الخصائص : ١/٣٧٥ وليس فى كلام العرب : ٣٧ وراجع باب تركب اللغات فى « الخصائص » : ١/٣٧٤

(٧) لم يرد كذلك فى المخطوطة ولا فى تصحيح التصحيف .

(٨) الصحاح (لجج) : لججت بالكسر : ولججت بالفتح لغة

بالكسر والفتح فى العين منهما ، ولكن الكسر أفصح ، والفتح لغة[1] .
وإذا كانت لغة لم تلحّن بها العامة .

فعلت وأفعلت

وقال أيضاً : « ومما جاء على فَعلت ، وهم يقولونه على أفعلت ، قولهم : رَشوت السلطان ، ونَجلت ولدى ، وعرَضت عليه الأمر ، وسدَلت عليه الستر ، وشحَنت السفينة »[2] .

قال الراد : أما سَدل فيقال فيه سَدل وأسدل . قال ابن سيده : يقال سدل الشعرَ والثوبَ والسِتَر يسدِله ويسدُله سَدْلا ، وأسدله[3] : أرخاه . ويقال أيضا : أزدل يزْدِل ، بالزاى ، على البدل[4] .

٣٦ — أفعلت وفعلت

وقال أيضا : « ومما جاء على أفعل بالألف ، وهم يقولونه على فَعَل ، قولهم : أفلح الرجل ، وأصحت السماء ، وأقفلتُ البابَ ، وأغلقته ، وأقرد الرجل إذا سكت ولم ينطق ، وأحددتُ السكين ، وآذيت الرجل »[5] .

---

(١) عن أبى عبيدة : كما فى إصلاح المنطق : ٢١١

(٢) لم يرد فى مخطوطة الزبيدى ولا فى تصحيح التصحيف .

(٣) اللسان (سدل)

(٤) إبدال السين زايا هنا حق تؤيده النظريات الصوتية . فطبقاً لظاهرة التماثل بين الأصوات المتجاورة ، يقال إن السين فى أسدل وهى صوت مهموس ، جاورت الدال وهى مجهور ، فتقلب السين إلى نظيرها المجهور وهو الزاى ، ليتم التماثل بين الصوتين المتجاورين . وهذا ماعناه سيبويه بقوله : فأما قولهم يزدل ثوبه فعلى المضارعة لأن السين وهى من موضع الزاى (اللسان)

(٥) لم يرد فى مخطوطة الزبيدى ولا فى تصحيح التصحيف .

قال الراد : أما أغلقت الباب فقد حكى ابن دريد فيه : غَلَقت ، وهى لغة ضعيفة[1] . والأفصح فى ذلك غَلّقت ، قال الله تعالى : (وغَلَّقَتِ الأبوابَ)[2] ثم أغلقت ، ثم غَلَقت ، وهى وإن كانت لغة ضعيفة ، فلا يجب أن تلحّن بها العامة ، لأنها من كلام العرب ، وإن قَلّت وضعفت . وأما أذيت الرجل فيقال فيه : أَذِىَ الرجلُ يأذَى ، إذا تأذى فهو أذٍ ، غير معدى ، قال امرؤ القيس :

وإذا أَذِيتُ ببلدةٍ ودَّعتُها ولا أُقيم بغير دارِ مُقامِ[3]

كذا وقعت الرواية : أَذيت بفتح الهمزة على ما ذكرنا . ثم يُعدَّى بالهمزة ، فيقال : آذيته . كما تقول : وَقِرت الدابة وأوقرتها ، ورَهِصت وأرهصتها .

٣٨ ـ كير الحداد

وقال أيضا : « ويقولون للزِّقِّ الذى يَنفُخ فيه[4] الحدَّاد : كِير . والصحيح المعروف أن الـكِير مَوقد النّار »[5] .

قال الراد : أكثر أهل اللغة على أن الـكير الزق[6] . ومن أقوى حججهم فى ذلك قول جرير :

---

(١) الجمهرة : ٣/٤٣٩ : غلقت الباب وأغلقته . وأبى البصريون إلا أغلقته : ولم يجيزوا غلقته ألبتة . وفى اللسان (غلق) أن غلقت الباب غلقاً لغة رديئة متروكة . وهى عن ابن دريد الذى عزاها إلى أبى زيد .

(٢) سورة يوسف : ٢٣

(٣) ديوانه : ١١٨

(٤) فى لحن العامة وتصحيح التصحيف ٢٦٨ : به

(٥) لحن العامة : ٢٣٠ ، ٢٣١

(٦) من هؤلاء أبو نصر الباهلى وأبو عمرو الشيبانى ، وقد أورد الزبيدى رأيهما ، واستشهاد أبى عمرو ببيت بشر بن أبى خازم . وقد قال الزبيدى : إن إطلاق الـكير على الزق لا يصح إلا على وجه تسمية الشيء بما قرب منه ، كقولهم : راوية للمزادة .

أتفخر بالمُحَمَّمِ قَيْنَ ليلى وبالكِير المرقَّعِ والعَلاةِ[1]

فدل بقوله : المرقَّع ، على أنه الزق حقيقة . وكذلك بشر بن أبي خازم :

كأن حَفيفَ مَنخِره إذا ما كتمنَ الرَّبوَ كِيرٌ مُستعارُ[2]

وهذا بيِّنٌ لا خفاء به .

وأما الكور عندهم فهو للمبنى من الطين[3] . ومنهم من قال إن (٩ — أ) الكير هو المبنى . فإذا كان لأهل اللغة فيه قولان . فكيف تلحَّن به العامة ؟

٣٩ – صحاب

وقال أيضا : « ويقولون لجماعة الصاحب : صَحاب . والصواب : صِحاب بالكسر »[4] .

قال الراد : قد حكى أهل اللغة صِحاباً وصِحابة ، وصَحاباً وصَحابة . فأما صِحاب بالكسر فجمع صاحب ، على توهم حذف الألف ، فكأنهم جمعوا فَعْلًا على فِعال ، نحو كَعْب وكِعاب . وقيل : إنه جمع على غير توهم حذف الألف[5] ، كما قالوا : راجل ورِجال ، وقائم وقِيام ، وصائم وصِيام ، ونائم ونيام . وحكى يونس : حائطا وحِياطا ، وجائِعا وجِياعا ، وساغِباً وسِغابا . قال أبو علي الفارسي — رحمه الله — : وهذا من الجمع العزيز المسموع الذي لا يقاس عليه . وصِحابة أيضا ، بكسر الصاد ، جمع صاحب ، إلا أنه أنث

---

(١) في شرح الديوان : ٨٤ والكامل للمبرد : ٣/١٤٣ : أيفخر .

(٢) ديوان بشر : ٧٨ واللسان (عور — كتم — ربا) وإصلاح المنطق : ٣٣ ومقاييس اللغة : ٥/١٤٩ ولحن العامة : ٢٣١

(٣) إصلاح المنطق : ٣٢

(٤) لحن العامة : ١٩٣

(٥) في الصحاح (صحب) : صحاب مثل جائع وجياع .

الجمع ، كذِكارة وفِحالة . وأما صَحاب ، بفتح الصاد ، وصَحابة فاسمان للجمع . كذا حكى فيهما أهل التحقيق من اللغويين . وقل أن يوجد فَعَال جمعا إلا فى قولهم . شاب وشَباب . وحكى ابن جنى أن صحابة مصدر .

٤٠ — الصارى

وقال أيضا : ويقولون لعود الشراع : صارٍ . قال أبو بكر[١] : والصارى المَلَّاح ، وجمعه صُرَّاء . هكذا روى أبو نصر ، وصوارٍ أيضا ، قال الأعشى :

خَشِى الصَّوارِى صَولَةً منه فعاذوا بالـكلا كِل[٢].

وقال الأصمعى : الصارى المَلَّاح ، وجمعه صُرَّاء على غير قياس . قال أبو بكر : وفُعَّال من الأبنية التى تكون جمعا لفاعل ، مثل قائم وقُوَّام ، وصائم وصُوَّام ، وضارب وضُرَّاب . وقد غَلِط الأصمعى فيما رواه »[٣] .

قال الراد : ليس رد أبى بكر على الأصمعى بشىء ، لأن الأصمعى إنما بنى على الجمع المعهود فى فاعل من المعتل اللام . وهو مخصوص بفُعَلة أو فُعَّل ، نحو ماش ومُشاة ، وقاض وقُضاة ، ورام ورماة ، وغازٍ وغُزَّى ، وعافٍ وعُفًّى . وإنما كان ينبغى أن يكون صُرَّاء على أحدهما ، فلما لم يأت على أحدهما جعله شاذًا . وقول أبى بكر : إن فُعَّالا من الأبنية التى تكون جمعا لفاعل ، إنما ذلك من البناء الصحيح اللام ، نحو ضارب وضُرَّاب ، وقائم وقُوَّام ،

(١) فى لحن العامة : قال محمد

(٢) فى الديوان : ٣٣٩ : الصراوى — بالـكوائل . وفى النسختين ولحن العامة : صوار . وفى البيت : الصوارى كما أثبتنا .

(٣) لحن العامة : ٢١٢ ، ٢١٨

وصائم وصُوَّام . وأما من بناء ماشٍ ، وقاضٍ ، وغازٍ ، فلم يأت إلا شاذاً نحو صُرَّاء[١] .

٤١ - كلوة

وقال أيضاً : « ويقولون لواحد الكُلى : كَلْوة . والصواب كُلْية . وزعم بعض اللغويين أن أهل اليمن يقولون كُلْوة ، بالواو . وذلك مردود »[٢] .

قال الراد : حكى ابن دريد وغيره (٩ - ب) أن الكُلوة لغة فى الكُلْية[٣] . فكيف تُرَد على من حكاها من اللغويين الثقات . فلم يبق للعامة ما تلحن فيه ، على هذه اللغة ، إلا فتح الكاف ، لأن هذه اللغة إنما أتت بضمها .

٤٢ - مؤخرة السرج

وقال أيضاً : « ويقولون : مؤخرة السَّرْج . والصواب : آخِرة السرج . وكذلك آخِرة الرَّحْل »[٤] .

قال الراد : قد حكى ابن سيده آخِرة الرحل ومُؤْخِرتها[٥] ، ولم يبق للعامة ما تلحن فيه ، على هذه اللغة إلا فتح الميم والخاء . وهذه اللغة إنما وردت بضم الميم وكسر الخاء .

---

(١) راجع فى ذلك كتاب سيبويه: ٢٠٦/٢ وشرح المفصل : ٥٤/٥ ولسان العرب : صرى ، وصرر .
(٢) لحن العامة : ٩٦ ، ٩٧
(٣) الجمهرة : ١٧٠/٣
(٤) لحن العامة : ١٣٨ .
(٥) لغة قليلة (الصحاح أخر) .

٤٣ — زرافة

وقال أيضاً: « ويقولون لبعض الدواب زُرافة . والصواب : زَرافة بالفتح »[١] .

قال الراد : قد حكى ابن سيده فى « المحكم » أنه يقال لها زَرافة وزُرافة ، بفتح الزاى وضمها[٢] .

ثم قال فى آخر الفصل : « والزَّرافة الجماعة من الناس وغيرهم . قال محمد بن مُناذِر :

وترى خلفه زَرافات خَيْلٍ   جافلاتٍ تعدُو بمثل الأسودِ[٣]

قال الراد :[٤] هذا البيت لا حجة له فيه ، لأن صاحبه مولَّد ، وليس ممن يحتج بشعره . وإنما الحجة فى ذلك قول أبى الغول الطُّهَوِىّ :[٥]

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجِذَيْهِ لَهُم   طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانا[٦]

---

(١) لحن العامة : ١٦٩ .

(٢) اللسان (زرف) .

(٣) لحن العامة : ١٧٠ والكامل ٤/٦٣ وفي أصل مخطوطة الزبيدى : وترى زرافات — حاملات يعدو كمثل .

(٤) م : وهذا .

(٥) نسبة هذا البيت إلى أبى الغول الطهوى جاءت هنا وفى التنبيه على شرح مشكلات الحماسة « لابن جنى » ونسب فى شرح ديوان الحماسة ١ / ٢٧ لبعض شعراء بلعنبر (وهو قريط بن أنيف) وفى الخصائص ٢/٢٧٠ جاء الشطرالثانى وقبله : قال العنبرى

(٦) البيت فى المراجع السابقة وفى تثقيف اللسان : ١٣٦ وفيه وفى الخصائص رواية أخرى : أحدانا .

٤٤ ــ سكرانة

وقال أيضاً : « ويقولون : سكرانة ، يبنونها على سكران . والصواب : سَكْرَى وَسكران ، مثل رَيًّا وَرَيَّان . وذكر يعقوب أن قوماً من بنى أسد يقولون : سَكرانة »[١] .

قال الراد : فإذا قالها قوم من بنى أسد[٢] ، فكيف تلحَّن بها العامة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا أيضاً كما نطقت بعض قبائل العرب .

٤٥ ــ باع

وقال أيضاً : « ويقولون : باع ، لأوسع الخُطَا . قال أبو بكر : قال أبو على : الباع ما بين طَرْفى يدى الإنسان ، إذا مَدَّهما يميناً وشِمالا ، ويقال له : بُوع أيضاً »[٣] .

قال الراد : حكى ابن سيده أن الباع ما بين طرفى يدى الإنسان إذا بسطهما[٤] . وأن الباع الجسم ، يقال : رجل طويل الباع ، أى الجسم[٥] ، وجملٌ

---

(١) لحن العامة : ١٧١ .

(٢) إصلاح المنطق : ٣٥٨ .

(٣) لحن العامة : ٢٣٢ .

(٤) المحكم : ٢ / ٢٧١ وعبارته : الباع والبُوع والبَوْع : مسافة مابين الكفين إذا بسطهما .

(٥) المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٢ .

بوّاع[1] ، أى جسيم[2] ، ومرّ يتبوّع : إذا مر يُباعد باعه[3] ، ويملأ ما بين خَطوِه[4] . قال الراد : فهذا نحو قول العامة .

٤٦ — فاكهة شتوية

وقال أيضاً : « ويقولون : فاكهةٌ شَتَوِيَّة . والصواب : شَتْوِيَّة[5] .

وينسب إلى الصيف : صَيْفِيٌّ ، وإلى الخَرِيف : خَرْفِيٌّ ، وإلى الربيع : رِبْعِيٌّ .

قال الراد : قد حكى سيبويه أنه يقال فى النسب إلى الخريف : خَرِيفِيٌّ ، كما تنطق به العامة . ثم قال سيبويه بعد ذلك : والخَرْفِيّ فى كلامهم أكثرُ من الخَرِيفِيّ ، ووقع (١٠ — ا) فى كلام أبى حنيفة ، عند ذكر الأنواء ، من كتاب « النبات » : « الفصل الرَّبِيعِيّ » كما تنطق به العامة . وهو إمام من أئمة اللغة . ولم يكن لينطق إلا بما تعرفه العرب . قال أبو حنيفة — رحمه الله — : « فالربع الأول من الشتاء يسمى الفصل الشَّتْوِيّ ، والربع الثانى منه[6] يسمى الفصل الرَّبِيعِيّ . ويسمى الربع الأول من الصيف : الفصل الصيفيّ ،

---

(١) من هنا يبدأ الخرم فى نسخة م (رقم ٩٩) ويشمل رد ابن هشام على خمس عشرة مادة وبعض مادة . وتلتقى النسختان بعد ذلك فى أثناء الرد على كلمة « قدم » وسنحدد ذلك فى موضعه .

(٢) المحكم ٢ /٢٧٢ .

(٣) فى الأصل : ساعة . والصواب من المحكم .

(٤) المحكم : ٢ /٢٧١ .

(٥) إلى هنا فى تصحيح التصحيف وتحرير التحريف : ١٩٨ . نقلا عن الزبيدى ولم يرد النص فى المخطوطة .

(٦) فى الأصل : منها .

ويسمى الربع الثانى منه الفصل الخَرِيفِى"[١] » هذا نص كلامه ، رحمه الله . والدليل على ما قلناه من تحرزه فى المنطق ، واتباعه لكلام العرب ، أنه أتى بالفصول الثلاثة على ما تعرفه العرب ، وحكاه اللغويون عنها فقال : الشَّتْوى ، بإسكان التاء . والصَّيْفِىّ والخَرِيفىّ على ما حكى سيبويه . ولم يكن ليلحَّن فى الرَّبيْعِىّ لولا ما سمعه من العرب ، أو رواه فى كلامها وأشعارها . ولكن الرِّبْعِي بحذف الياء أكثر وأشهر ، ، كما قال طُفيل :

إذ هى أحوى من الرِّبْعِىّ حاجِبُه والعينُ بالإثْمِدِ الحارِىِّ مكحولُ[٢]

وكما قال الآخر[٣] :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيةٌ صَيْفِيُّونْ
أفلح من كان[٤] له رِبْعِيُّونْ .[٥]

قال الراد : فلم يبق للعامة فى النسب إلى هذه الفصول ما تلحن فيه على ما قدمنا ، إلا فى فصل الشتاء ، فإنهم يقولون فيه : شَتَوِىّ بفتح التاء والصواب إسكانها ، قال الراعى :

شَرْق بها الأرواح كلَّ عَشِيَّةٍ رأب النَّقى شَتْوِيُّها وسُمومُها[٦]

---

(١) الذى نقله صاحب اللسان عن أبي حنيفة : والنسب إليه (الخريف) : خرفى (بسكون الراء) وخرَفى بالتحريك ، كلاهما على غير قياس .

(٢) كتاب سيبويه : ١/٢٤٠ والإنصاف : ٧٧٥ والحارى : منسوب إلى الحيرة على غير قياس .

(٣) هو سعد بن مالك بن ضُبيعة (اللسان : ربع) أو أكثم بن صيفى (اللسان : صيف) .

(٤) فى اللسان (ربع) : كانت .

(٥) الرجز فى إصلاح المنطق : ٢٦٢ واللسان (ربع ، صيف) .

(٦) استشهد الزبيدى ببيت آخر ، هو قول ذى الرمة :

كأنَّ الندى الشتوى يرفضُ ماؤهُ على أشنب الأنيابِ مُتسق الثغر

(تصحيح التصحيف : ١٩٨)

٤٧ — خيزران

وقال أيضاً : « ويقولون للقُضُب التي يتخذ الملوك منها المخاصر ، ويعمل منها الأطباق : خيزَران . والصواب : خيزُران بالضم »[١] .

قال الراد : حكى ابن مكي في كتابه المسمى بـ « تثقيف اللسان وتلقيح الجَنان » أنه يقال : خيزَران بفتح الزاي ، قال : والضم أكثر[٢] . قال الراد : فعلى هذا القول لا يكون في كلام العامة لحن .

وقال أبو بكر أيضاً في هذا الفصل : « والعرب تُسمّى كلَّ قَضِيبٍ لَدْنٍ ناعم : خيزُرانا »[٣] .

قال الراد : حكى ابن سيده في ذلك قولين في كتابه المسمى بـ « المحكم » فقال — رحمه الله — الخيْزُران : نبت لَيّن القُضْبان ، أملس العِيدان[٤] . وقيل : هو كل شجرٍ لين ، واحدته خَيْزُرانة .

٤٨ — لطخ

وقال أيضاً : « ويقولون : لُطِخ الرجل بِشَرٍّ . والصواب أن يقال : لُطِح ، بالحاء غير معجمة » ثم قال بعد هذا : « وأجاز أبو علي : لُطِخ أيضاً بالخاء المعجمة[٥] . والمعروف ما قدمنا » .

---

(١) لحن العامة : ٨٥ وزيد فيه بعد كلمة الأطباق : خاصة .

(٢) تثقيف اللسان : ٢١١

(٣) لحن العامة : ٨٦

(٤) في اللسان (خزر) عن ابن سيده : الخيزران نبات لين القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم .

(٥) تصحيح التصحيف : ٢٧١ ولم ترد في المخطوطة .

قال الراد : قد حكى اللغويون ، ابن سيده وغيره : لطخته بشَرٍّ ألطَخه لَطْخاً ، وتلطخ به : إذا فعله . فإذا حكاه أهل اللغة فكيف تلحّن به العامة ، ويجعله غير معروف .

٤٩ — بسطام

وقال أيضاً : « ويقولون (١٠ — ب) بَسطام لاسم الرجل فيفتحون . والصواب : بِسطام بالكسر ، وكذلك كل ما كان من هذا المثال من غير المضاعف ، لا يجئ إلا مكسور الأول ، أو مضمومه ، ما خلا حرفاً واحداً ، رواه الكوفيون ، وهو قولهم : ناقة بها خَزْعال ، أى ظَلْع »[1] .

قال الراد : قد جاء فى الشعر حرف آخر ، وهو قول الشاعر[2] :

* والخيل خارجة من القَسْطالِ *[3]

قال الراد : وقوله فى الفصل الذى تقدم : « وكذلك كل ما كان من هذا المثال من غير المضاعف لا يجئ إلا مكسور الأول أو مضمومه » قال الراد : إنما يعتبر هذا فى الاسم العربى . وأما فى العجمى فلا يعتبر فيه أوزان كلام

(١) لحن العامة : ١٢٩ .

(٢) هو أوس بن حجر (اللسان : قسطل) .

(٣) صدره : * ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا *

والبيت منسوب فى الخصائص : ٣ / ٢١٣ واللسان (قسطل) وفيه : قال الأزهرى : جعل أبو عمرو قسطان بفتح القاف فعلانا لا فعلالا ولم يجز قسطالا ولا كسطالا ، لأنه ليس في كلام العرب فعلال من غير المضاعف غير حرف واحد جاء نادراً وهو قولهم : ناقة بها خزعال . قال ابن سيده : هذا قول الفراء . وقال الجوهرى : القسطال لغة فيه من قلة فعلال فى غير المضاعف ، وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر . . .

وقال ابن جنى تعليقاً على هذا الشاهد : وقد يمكن أن يكون أراد القسطل فاحتاج فأتبع الفتحة . ومثله فى الاقتضاب : ٢٧٥ .

العرب ، وبسطام اسم أعجمى . وكذلك حكى أبو الحسن الأخفش ، قال رحمه الله ، فى بعض طُرَرِهِ على « الكامل » : الوجه عندى فى بِسطام ألا يصرف ، لأنه أعجمى[1] . فإذا كان أعجميا لم يحمل على أمثلة كلام العرب ، إلا أنه لم يرد إلا بكسر الباء .

٥٠ ــ كاغظ

وقال أيضاً : « ويقولون : كاغَظ بالظاء المعجمة . وأخبرنا أبو على أن الصواب : كاغد ، بالدال غير معجمة . ولا أروى ذلك عن غيره »[2] .

قال الراد : حكى ابن سيده كاغَذًا بالذال معجمة أيضاً . وكذلك حكى الأستاذ أبو محمد ابن السِّيد : واللغتان مشهورتان : كاغَد وكاغَذ ، بالدال والذال[3] .

وحكى أبو القاسم الحسن بن بشر ، مصنف كتاب « الموازنة بين الطائيين » قال : سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغَد فقال : يقال بذال معجمة ، وبدال غير معجمة ، وبالظاء المعجمة . وروى عن « ثعلب » مثل ذلك .

٥١ ــ القراميد

وقال أيضاً : « ويقولون للذى يُعَلّى به السقوف : القراميد . قال أبو بكر : والقراميد جمع قَرمَد ، والقَرمَد ما طُلى به الحائط من جِصٍّ أو جَيَّار أو غيره »[4] .

---

(١) الكامل : ١ / ٢٢٨ وفيه : ألا ينصرف .

(٢) لحن العامة : ١٦٤ وقد أضفنا عبارة أخبرنا به أبو على من « تصحيح التصحيف » : ٢٦٠ وفيها : ولا أدرى ، بدل : ولا أروى .

(٣) اللسان (كغذ) الكاغذ لغة فى الكاغد .

(٤) لحن العامة : ٢١٨ .

قال الراد : قد حكى ابن دريد وغيره أن القراميد آجُرٌ يُطبَخ ، والواحد قِرميد ، وهو فارسى أعرب[١] . وكذا حكى يعقوب بن يحيى الآمدى ، فلا معنى لإنكار ما حكاه الأئمة الثقات . قال الراد : فالعامة على هذا إنما تلحَن فى الواحد ، فتقول : قَرمَدة[٢] ، وإنما واحده قِرميد ، كما تقدم .

٥٢ — أقر فلانا السلام

وقال أيضاً : « ويقولون : أَقْرِ فلاناً السلامَ . والصواب : اقرأ عليه السلام ، كما أنشد أبو على :

اقرأ على الوشَلِ السَّلامَ وقل له   كلُّ المشارِبِ مُذهُجِرْتَ ذَمِيمُ[٣] »

قال الراد : هذا الذى أنكره قد أجازه أبو الحسن الأخفش ، وهو من أئمة النحويين (١١ — ا) واللغويين . وقد أجازه أيضاً غيره . وبيت « حبيب »[٤] أيضاً يشهد لذلك ، وهو ممن يحتج بشعره لعلمه . وقد احتج ببيت من شعره « أبو على الفارسى » فى « الإيضاح » وإن كان ذلك لِعِلّةٍ . قال « حبيب » :

---

(١) الجمهرة : ٣/٣٧٥ : قرميد وهو الآجر بالرومية ، وقد تكلمت به العرب .

(٢) لعل ابن هشام يعنى العامة فى عصره ، لأن الزبيدى لم ينقل هذه اللفظة عن العامة ولا نقلها ابن هشام فى النص السابق عن لحن العامة .

(٣) لم يرد فى مخطوطة الزبيدى ، وهو فى تصحيح التصحيف : ٧٥
والبيت لأبى القمقام الأسدى كما فى سمط اللآلى : ٣٨٦/١ وشرح الحماسة للمرزوقى ١٣٧٧ وهو فى الأمالى : ١٤١/١ ومعجم البلدان (وشل) ونسب لمجنون ليلى (ديوانه ٢٤٦) وروايته . مذ فقدت ، ومثله فى الأضداد لابن الأنبارى : ٤٢١ .

(٤) هو أبو تمام .

أقْرِ السَّلامَ معرّفا ومُحَصَّباً   من خالدِ المعروفِ والهيجاءِ (١)

وإن كان قد غلّطه أبو بكر (٢) فيه ، ولم يك « حبيب » ممن يغلط فى هذا القدر ، لأنه كان من أهل الرواية لأشعار العرب وكلامها . ولو أدرك زمانه ، وسمع إنكاره ، لقابله بما قابل به ابنَ قتيبة . فقد روى أن ابن قتيبة عارضه فى بعض أبيات شعره ، فقال له : يا أبا تمام أخطأت فى قولك :

أيا ويلَ الشَّجِيِّ من الخَلِيِّ   وويلَ الدَّمعِ من إحدى بَلِيِّ (٣)

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟ قال : لأن يعقوب قال : شَجٍ بالتخفيف ولا يشدَّد . فقال له أبو تمام : من أفصحُ عندك : ابن الجُرْمُقانيةِ يعقوب أم أبو الأسود الدؤلى ، حيث يقول :

ويل الشَّجيِّ من الخَلِيِّ فإنه   وَصِبُ الفؤادِ بشَجْوِهِ مَغمومُ (٤)

فانظر اقتفاءه لأبى الأسود ، وأنه لم يقل ذلك حتى عرفه من كلام العرب وقد قال أبو دُواد الإيادى أيضاً ما يؤيد قول أبى تمام ، وناهيكَ به حُجَّةً :

مَن لِعَيْنٍ بدمعِها مَوْلِيَّهْ   ولنفسٍ بما عَراها شَجِيَّهْ (٥)

---

(١) شرح ديوان أبى تمام : ٨ وفيه : هذا البيت يروى على وجوه : أجودها وأليقها باللفظ أن يقال : أقرى السلام . . ويكون من قرأت على فلان السلام وأقرأته غيرى . وتخفف الهمزة ، فإن خففت للضرورة أثبت الياء فى الخط ، وان كانت الهمزة خففت قبل أن يرام نظم الكلام فلا ضرورة فيها ، وينبغى أن يكتب : أقر بغير ياء لأنها فى لغة من يقول : قرى فى وزن : مضى .

(٢) الزبيدى ، كما نقله عنه الصفدى فى تصحيح التصحيف : ٧٥

(٣) الديوان : ٣ / ٢٥١ والاقتضاب: ١٩٧ وفيهما : وبالى الربع ، بدل : وويل الدمع .

(٤) البيت فى اللسان (شجا) والاقتضاب : ١٩٧ وفيه : نصب .

(٥) خبر ابن قتيبة وأبى تمام فى الاقتضاب : ١٩٧ والبيت فى اللسان (شجا) والاقتضاب : ١٩٧ وفيهما : بما عناها ، بدل : بما عراها .

وانظر فى تشديد الشجى وتخفيفه : ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى : ٣/٢٥١ والكامل للمبرد : ١/٢٨٥ واللسان (شجا) والاقتضاب : ١٩٧ .

٥٣ — وهبت فلاناً مالا

وقال أيضاً : « ويقولون : وهبتُ فلاناً مالا . والصواب : وهبت لفلان مالا »(١) .

قال الراد : هذا الذى ذكر هو قول سيبويه . وحكى السّيرافى عن أبى عمرو أنه سمع أعرابيًا يقول لآخر : اِنطلق معى أَهَبْكَ نَبْلاً(٢) . فقول العامة على هذا ليس بلحن .

٥٤ — بنـــة

وقال أيضاً : « ويقولون : طعام ذو بَنَّة: إذا كان ذا طِيبٍ وَمساغٍ(٣). وإنما البَنَّة الريح الطيبة ، يقال : شراب ذو بَنَّة ، أى طيِّب الريح »(٤) .

قال الراد : قوله : والبَنَّة الريح الطيبة ليس بمطرد ، لأن البنة عند العرب الريح ، وقد تكون طيبة وخبيثة . ومن ذلك قول على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، لرجل من أهل اليمن(٥) : إنى أجد منك بَنَّة الغَزْل(٦) وليس

---

(١) لحن العامة : ٢٠١

(٢) حكاية السيرافى عن أبى عمرو فى اللسان (وهب) .

(٣) فى الأصل : تساغ ، خطأ من الناسخ . والصواب فى الصفدى .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٠١ وفيه : والبنة . . . . إذا كان طيب .

(٥) هو الأشعث بن قيس حين جاء إلى على يخطب ابنته .

(٦) اللسان (بنن) ونصه : وإنى لأجد بنة الغزل منك . وفى رواية أخرى قال على: قم لعنك الله حائكا فلكأنى أجد منك بنة الغزل . والمراد : ريح الغزل ، قيل كان أبو الأشعث يولع بالنساجة .

الغَزْل مما يوصف ريحه بالطيب . وقال الخليل — رحمه الله : « وتقول : أجد في الثوب بَنَّة طيّبة ، من عَرْف تُفَّاح أو سَفَرْجلٍ(١) فوصف البَنَّة بالطيب دليل على ما ذكرناه .

٥٥ — أفعل من الثلاثي الأجوف

وقال (١١ — ب) أيضاً : « ويقولون في ما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين ، مما لم يُسَمّ فاعله ، بإلحاق الألف ، فيبنونه على أُفعِل ، نحو أُبيع الثوب ، وأُقيم على الرجل ، وأُخيف ، وأُدير به . والصواب في هذا كله إسقاط الألف . فتقول : بِيع الثوب ، وخيف الرجل ، ودِير به »(٢) .

قال الراد : أما أُبيع الثوب فيجوز على لغة من يقول : أُبِيع الشيء ، بمعنى بِيع ، وقد بعته وأبعته بمعنى واحد . حكى ذلك أبو عبيدة . وأنشد للأجدع بن مالك الهَمْداني :

فرضيتُ آلاء الكميتِ فمن يُبِعْ فَرَساً فليس جوادُنا بمُباعِ(٣)

فقوله : مُباع هو من أُبِيع لا من بِيعَ . قال أبو إسحاق الزجاج : باع

---

(١) اللسان (بنن) .

(٢) لحن العامة : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) البيت في الجمهرة لابن دريد : ٤٣٦/٣ وفيه : قال أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد . سألت أبا حاتم عن باع وأباع فقال : سألت الأصمعي عن هذا فقال : لا يقال : أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني : ورضيت ... فقال أي غير معرّض للبيع . قال الأصمعي : لعلها لغة لهم ، يعني أهل اليمن . والبيت أيضاً في المحكم : ١٨٩/٢ وفيه : فرضيت . ويروى : أفلاء الكميت جمع فلو والبيت في المخصص ٢٢٩/١٤ وقبله : باع الرجل متاعه بيعاً وأباعه بمعنى . قال النحويون : أباعه عرضه للبيع ، والمعنيان متقاربان . وفي إصلاح المنطق : ٢٣٥ : وقد أبعت الشيء إذا عرضته للبيع ، وقد بعته أنا من غيري ، قال الهمداني : ...

الرجل الفرس وأباعه بمعنى واحد(١) . ذكر ذلك أبو عبيدة . وقال النحويون: أبعت الشيء عَرَّضته للبيع(٢) ، وأقتلت الرجل : عَرَّضته للقتل . وأما أُدِير به فقد حكى أبو العباس ثعلب وغيره : دِير بى وأُدِير بى ، لغتان فأ[نا] (٣) مدور بى ، ومُدار بى .

٥٦ — نعنع

وقال أيضاً : « ويقولون لريحانة طيبة الريح : نَعْنَع ، والصواب : نُعنُع بضم النونين »(٤) .

قال الراد : قال ابن سيده فى « المحكم » : النُّعنُع والنَّعنَع: بَقْلة طيبة الريح(٥) . فذكر أنهما لغتان . وقد قال أبو بكر فى آخر هذا الفصل : « وروى بعض اللغويين نَعنعاً بالفتح ، والأول أعجب إلىَّ وأفصح »(٦) . قال الراد : وإذا كان فى الكلمة لغتان ، وكانت إحداهما أفصح من الأخرى ، فكيف تلحَّن بها العامة ، وقد نطقت بها العرب . وإنما تلحّن العامة بما لم يتكلم به عربى .

٥٧ — مقداف

وقال أيضاً : « ويقولون : مِقداف السفينة . والصواب : المِجْداف ، وجدف المَلَّاح يَجدِف . ومنه جَدف الطائر بجناحَيْه يجدِف جُدُوفا ، إذا كان مقصوصا فرأيته كأنه يَرُدُّ جناحيه خلفه ، ويدارِك الضرب . ويقال

---

(١) المخصص : ١٤ / ٢٢٩ .

(٢) إصلاح المنطق : ٢٣٥ .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) لحن العامة : ١١٢ ، ١١٣

(٥) المحكم : ١ / ٥٠ ونقل بعد ذلك قول أبى حنيفة إن العامة تقول: نعنع بالفتح.

(٦) فى لحن العامة : والأول أفصح وأعرف .

إنه لمجدوف اليد والقميص ، إذا كان قصيراً . فأما جذف بالذال المعجمة فأسرع »[1] .

قال الراد : قوله : « فأما جَذَف بالذال المعجمة فأسرع ، يخرج منه أنه لا يقال : مجذاف بالذال المعجمة . وقد حكى ابن دريد مجذافا ومِجدافا ، بذال معجمة وغير معجمة . وزعم أنهما لغتان للعرب[2] . وكذلك جذف الطائر بجناحيه إذا أسرع تحريكَ جناحيه فى طَيَرانِه ، بالدال والذال . وقد حكى اللغويون ألفاظاً تكلمت بها العرب بالدال والذال ، منها بغداد وبغداذ (١٢ — ا) ومنجَد ومنجَذ للرجل المجرَّب ، وللعنكبوت : الخَدْرَنق والخَذَرنق . وللحُمَّى : أم مِلدَم وملذم[3] . والجادِيُّ والجاذِيُّ للزعفران ، ودفَفت على الجريح وذَفَفت إذا أجهزت عليه . وخردلت اللحم وخرذلته ، أى قطعته وفرقته . وجدَّ الحبلَ وجذَّه ، أى قطعه . وامْدَقرَّ القوم وامْذَقرُّوا ، إذا تفرقوا . وما ذقت عَدُوفا ولا عَذُوفاً ، أى ما ذقت شيئا . وللدواهى : القنادع والقناذع . وكاغَد وكاغَذ[4] . وهى كثيرة .

٥٨ — طلمت الخبزة

وقال أيضاً : « ويقولون لَطَّمت الخبزة ، إذا صنعها أحدهم بيده . والصواب : طَلَمتها بالتخفيف ، أطلمها »[5] وأتى بالحديث شاهداً على الطُّلْمة ، ولم يُتِمَّه . والحديث بتمامه : « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) لحن العامة : ٩٨ .

(٢) الجمهرة : ٢ / ٦٧ : ومجداف السفينة بالدال والذال — زعموا — والدال أكثر .

(٣) فى ثمار القلوب : ٢٥٩ قال أصحاب الاشتقاق : هى (ملدم) مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر . وقال بعضهم : ملذم بالذال المعجمة ، من قولهم : لذم به ، إذا لزمه .

(٤) سبق للمؤلف ذكر هاتين اللغتين فى الكاغد فى رده على الزبيدى . الفقرة ٥٠) .

(٥) لحن العامة : ١١٩ .

رأى رجلا يُعالج طُلْمةً ، وقد عَرِق من حَرِّ النار ، وتأذَّى ، فقال : لا تَمَسُّه النارُ أبداً »[1] .

٥٩ ــ قبيط

وقال أيضاً : « ويقال للناطف : قُبَّيْد . والصواب : قُبَّيْط وقُبَّيطَى على مثال فعَّيلى . وزعم بعض اللغويين أن من العرب من يخفف ويمد ، فيقول : قُبَيْطاء »[2] .

قال الراد : نقصه من اللغات التى ذكر فى القُبَّيط : قُبَّاط[3] . حكاها ابن سيده فى « المحكم » . فأما قول عامة زماننا : قُبَّيْض بالضاد فلحن .

٦٠ ــ جمع أحد

وقال أيضاً : « ويقولون : مضى لذلك سُبوت وحُدود . والصواب : آحاد ، وهو جمع أحد »[4] .

قال الراد : كان حقه أن يأتى للأحد بجمع كثيرٍ ، لأن فيه وقع اللحن . وجمعه الكثيرُ على فِعال ، كجَمَل وجِمال ، وجَبل وجِبال . وكذا جمعه أبو العباس المبرّد فى كتاب « الزمان »[5] .

---

(١) فى النهاية : ٣ / ٤٤ والصحاح (طلم) : « وقد عرق ، فقال : لا يصيبه حر جهنم أبداً » .

(٢) لحن العامة : ١٣٧ وتصحيح التصحيف : ٢٤١ وفيه: ويقولون . بدل : يقال .

(٣) جاءت فى اللسان (قبط) .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٣٣ ولم يرد فى المخطوطة .

(٥) ذكره ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب : ٤٦٩ بعنوان : الأزمنة .

٦١ – قدوم

وقال أيضاً : « ويقولون قادوم ، فيلحقون الألف ، ويجمعونه على قوادم . والصواب : قَدوم »[١] .

قال الراد : كان ينبغي له كما ذكر الصواب في الإفراد أن يذكر الصواب في الجمع ، لأنه لحَّنهم في الجمع كما لحَّنهم في الإفراد . ولم يتعرض لذلك . والصواب : أن يجمع على قُدُم . قال الأعشى :

أقام به شاهَبُور الجُنو دِ حولَين يضرب فيه القُدُمْ[٢]

ويجمع[٣] أيضاً على قدائم .

ثم قال بعد هذا : « وأخبرني أبو علي أنه يقال لنصاب القَدُوم الفِعال ، ولم أسمع هذا من غيره ، ولا رأيته لأحد من اللغويين[٤] » .

قال الراد : هذا القول يخرج من ضمنه أنه لم يذكره أحد منهم في تآليفه . وقد ذكر أبو حنيفة في « النبات » رحمه الله . ويقال لنصاب الفأس : الفِعال ،

---

(١) لحن العامة : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) الديوان : ٤٣ وفي المخصص : ١٧ / ٦ :

أطاف . . . . فيها . . .

(٣) هنا ينتهي الخرم في نسخة م .

(٤) لحن العامة : ١٢٤ ولم تكن كلمة الفعال في المخطوطة فأثبتناها من هنا .

ولثقبها : الخُرت . واحتج على ذلك ببيت ابن مقبل ، الذى أتى أبو بكر بعجزه . والبيت :

وتهوِى إذا العِيسُ العِتاقُ تفاضَلَتْ   هُوِىَّ قَدُومِ القَيْنِ جال ِفمالُها[1]

٦٢ – جير

(١٢–ب) وقال أيضاً : ويقولون للذى يلاط به البيوت أيضاً : جير . والصواب : جَيَّار ، على مثال فَعَّال ، وهو الصَّاروج أيضاً[2] .

قال الراد : هذا الذى ذكر هو المشهور . وقد وقع الجِير فى شعر الأعشى ، وهو ميمون بن قيس ، قال :

فأضحت كبنيان التِّهامِىّ شادَهُ   بجيرٍ وَجَيَّارٍ وَكِلْسٍ وَقَرْمَدِ[3]

فثبت بهذا أنهما لغتان ، بمنزلة السَّطل والسَّيْطَل ويروى : بطِينٍ وجَيَّار .

٦٣ – أسطوان

وقال أيضاً : « ويقولون أُسطوان ، للبيت الذى يُشرع منه إلى الفِناء · والأسطوانة : السارية[4] » .

قال الراد: لم يذكر أبو بكر اسماً للموضع الذى سموه بالأسطوان . واسمه عند العرب : الدِّهليز[5] ، وهو الممر الذى يكون بين باب الدار ووسطها ·

---

(١) ديوان ابن مقبل : ٣٩٠ والمخصص : ١١ / ٢٥ واللسان والتاج (فعل) وقد أورد الزبيدى عجزه كما ذكر ابن هشام .

(٢) لحن العامة : ١٥٩ .

(٣) الديوان : ١٨٩ وفيه الرواية الثانية : بطين وجيار . .

(٤) لحن العامة : ٢٢٣ .

(٥) جاء فى الصحاح : ٢ / ٨٧٥ أن الدهليز فارسى معرب .

٦٤ – مداج ومداجن

وقال أيضاً : « ويقولون : هو مُداجِنٌ لنا ، إذا كان على مدالسة . والمداجنة : حسن المخالقة . وقال يعقوب : الدجون الألفة »(١) .

قال الراد : كان حقه أن يذكر الصواب فى ذلك . والصواب أن يقال : هو مداجٍ لنا ، أى يساترنا بالمداوة ، ويخفيها عنا ، مأخوذ من الدُّجا وهى الظلمة . وهذا الذى أرادوا . وإنما غلطوا فى الخط ، فجعلوا التنوين الذى فى مداجٍ نوناً ، ثم أوقعوا عليه الإعراب . والله أعلم .

٦٥ – عبد مناه

وقال أيضاً : ومما غُلِط فيه من الأسماء قول حبيب :

إحدى بنى بكر بن عبد مناهِ ... بين الكثيبِ الفَرْد فالأمواهِ(٢)

والصواب : عبد مناة بالتاء ، مثل عبد يَغُوث ، وعبد وُدّ ، وعبد العُزّى ، وهى أصنام كانت العرب تتعبد لها . قال الله عز وجل : (ومناة الثالثة الأخرى)(٣) .

---

(١) تصحيح التصحيف : ٢٨١ ولم يرد فى المخطوطة .

(٢) ديوان أبى تمام : ٣ / ٣٤٣ وقد علق المرزوقى على البيت بقوله : لحنه بعضهم فى قول مناه . وقال اسم الصنم مناة . قال : اعلم أن هاء التأنيث ، وهاء الضمير ، وهاء الوقف تحمل العرب بعضها على بعض لتشابهها . والأصل فى التأنيث التاء ، بدلالة أنها تكون حرف الإعراب . وعلق أبو العلاء : اختلف الناس فى رواية هذا البيت . روى مناة بالتاء على غير التصريع . وبعض الناس يعتمد الوقف على الهاء . ولو قال قائل إنه سمام بنى عبدمناه بهاء أصلية ، أخذه من ناه ينوه إذا انتشر ذكره ، لكان ذلك وجهاً قويا .

(٣) سورة النجم : ٢٠ .

قال الراد : لم يغلط « حبيب » فى هذا الاسم ، كما زعم . وإنما أجرى الوصل مجرى الوقف [ضرورة ، فلما كان الوقف على مناه بالهاء كما يوقف على على اللات بالهاء ، أجراها فى الوصل ذلك المُجرى . والعرب كثيراً ما تفعل ذلك ، تُجرى الوصل مُجرى الوقف][1] والوقف مُجرى الوصل . فما أجرى فيه الوصل مُجَرى الوقف قول الشاعر[2] :

ببــازلٍ وَجْنــاء أو عَيْهَــلِّ[3]

وإنما يريد : العَيْهَل

ومن أبيات الـكِتاب :

ضخمٌ يُحِبُّ الخُلُقَ الأَضْخَمَّا[4]

يريد : الأضخَم ، لأن التضعيف إنما يلحق الاسم فى الوقف ، فأما فى الوصل فالقياس ألا يلحقه التضعيف ، لـكن أجرى الوصل مجرى الوقف ، ضرورة كما قدمنا .

وأما ما أجرى فيه الوقف مُجرى الوصل فقول الشاعر :[5]

---

(١) من نسخة م وقد سقط من الأصل . ومن الواضح أن سقوطه بسبب انتقال النظر.
(٢) منظور بن مرثد الأسدى (اللسان : عيهل) .
(٣) كتاب سيبويه : ٢ / ٢٨٢ ونوادر أبي زيد : ٥٣ والإنصاف : ٧٨٠ واللسان والصحاح (عيهل) وقبله :

أن تبخلى يا جُمْلُ أو تعتلِّى
أو تصبحى فى الظاعن المولى

وبعده : نسل وجـد الهـائم المغتلِّ

(٤) كتاب سيبويه : ٢ / ٢٨٣ .
(٥) سؤر الذئب (اللسان حجف وشواهد الشافية ٢٠٠) .

بل جَوْزِ تَيْهاء كظهر الحَجَفَتْ[1]

وقول الآخر :[2]

اللهُ نجَّاكَ بكَفَّىْ مَسْلَمَتْ
من بعدِ ما وبعدِ ما وبعدِمَتْ
صارت نفوسُ القومِ عند الغَلْصَمَتْ
وكادت الحُرَّةُ أن تُدْعَى أَمَتْ[3]

وكذلك تقول فى الوقف : هذه طَلْحَتْ . وعليه (١٣ — ا) السلام والرَّحْمَتْ[4] . والحكم فى هذه كلها أن يوقف عليها بالهاء ، إلا أنه أُجرِىَ الوقف مُجرى الوصل . وهذا بَيِّن لا إشكال فيه .

٦٦ — ريحان

وقال أيضاً : « ويقولون : رَيْحان للآس خاصة دون الرَّياحين .

والرَّيحان : كلُّ نبتٍ طيب الريح كالورد ، والنُعنُع ، والنَّمام »[5] .

قال الراد : حكى أبو حنيفة فى « النبات » أن الرَّيحان اسم علم

---

(١) الجهرة : ٣/٢٢١ : بل دب .. والخصائص : ١/٤٠١ وسر صناعة الإعراب : ١/١٧٧ والإنصاف : ٢٧٩ .
(٢) أبو النجم (اللسان : ما. وشواهد الشافية ٢١٨ والخزانة ٢/١٤٨) .
(٣) الرجز بتمامه فى الخصائص : ١ / ٣٠٤ وسر الصناعة : ١/١٧٧ واللسان : ٢٠ / ٣٦١ .
(٤) الخصائص : ١/٣٠٤ .
(٥) لحن العامة : ٢٣٤ .

للحَنْوة[1] . قال أبو زياد : من العُشْب الحَنْوَة ، وهى قليلة ، وهى شديدة الخُضْرة ، طَيِّبة الريح ، وزهرتها صفراء ، وليست بضخمة ، وأنشد لجميل بثينة :

بها قُضُبُ الرَّيحانِ تَندَى وحَنْوةٌ ومن كلِّ أفواهِ البقولِ بها بَقلُ[2]

تم الرد على الزُّبيدى فى « لحن العامة »

---

(١) فى المحكم : ٣ / ٣٩١ : والريحانة اسم للحَنْوة كالعَلَم .
(٢) ديوانه : ٢٢٨ واللسان (حنو) .

مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة

للوزير لسان الدين بن الخطيب

بقلم : عبد الحفيظ منصور

مقدمة

موضوعه وترتيبه :

قال : ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب :

١ — جواز الإجارة فيها عند العلماء .

٢ — فى الشركة المستعملة بين أربابها .

٣ — فى محلها من الورع إن سوغها الفقه .

٤ — فى منزلتها من الصنائع والمهن .

٥ — فى أحوال منتحليها من حيث العلم غالباً .

٦ — فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه .

٧ — فى رد بعض ما يحتج به فيها .

نسخه :

عثرت على نسختين من مثلى الطريقة :

(الأولى) ضمن مجموع رقم 5094 بالمكتبة الأحمدية بتونس — من الورقة 71 إلى 81 وجاء فى آخرها : قال مكمل كتابته العبد الفقير راجى لطف رب العرش عبده محمد بن على بن محمد العشر ، أحد عدول مدينة تونس ، ستر الله

عيبه وغفر ذنبه : نجزت كتابته ليلة الجمعة ثالث عشر شوال المبارك لسنة 1183 هـ من نسخة مؤرخة بأواخر شعبان سنة ثمانية عشر ومائة وألف ، بخط الفقيه أبي القاسم بن سعيد الجبالى ، قال فيها : كتبتها بتونس من نسخة مؤرخة بعاشر محرم عام اثنى عشر وألف بخط الشيخ الإمام الشهير أحمد بن محمد بن أحمد المقرى ، قال فيها: كتبتها بتلمسان من نسخة بخط الشيخ الإمام أحمد بن يحيي بن محمد بن على الوانشريسى ، قال فيها: وكان الفراغ منها صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى عام أربعة وستين وثمانمائة .

غير أن هذه النسخة سقيمة لكثرة ماجاء فيها من تحريف ، رغم انتمائها إلى أصل يعتمد بصحته .

(الثانية) نسخة بالمكتبة الصادقية رقم 32 (من أصل مكتبة رضوان) ، بخط مغربى واضح تمتاز عن الأولى بصحتها ، وقلة ما بها من أخطاء رسمية ، مع أنها نسخت والأولى من أصل واحد ، إذ جاء على وجه الورقة الأولى منها : وجدت فى النسخة المنقولة منها هذه أن الشيخ الإمام الشهير أحمد بن محمد بن أحمد المقرى رحمه الله ، قال : وجدت بظهر أول ورقة من هذا الكتاب بخط الشيخ الكبير المفتى أحمد بن يحيي بن محمد بن على الوانشريسى رحمه الله مانصه : الحمد لله ، جامع هذا الكلام ، المقيد بهذا الزمام ، قد كد نفسه فى شيء لا يغنى الأفاضل ولا يعود عليه فى القيامة ولا فى الدنيا بطائل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره فى التماس مساوى طائفة بهم تستباح الفروج ، وتملك مشيدات الدور والبروج ، وجعلهم أضحوكة لذوى الفتك والمجانة ، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له ، قال ذلك وخطه بيمنى يده عبيد ربه أحمد بن يحيي بن محمد بن على الوانشريسى ، كان الله له آمين .

وقد اعتمدت النسخة الثانية للأسباب المذكورة ، وهى تقع فى عشر ورقات مقاس 19 × 14 . ورمزت للأولى بحرف (ب) .

التعريف بالمؤلف :

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن على السلمانى ، اللوشى ، الغرناطى ، الأندلسى (أبو عبد الله ، لسان الدين ، ابن الخطيب ، ذو الوزارتين ، ذو العمرين) ، أديب ناثر شاعر ، مؤرخ ، مشارك فى الطب

وغيره ، من الوزراء ، ولد بلوشة فى (25 رجب سنة713 هـ =1313 م) ، ونشأ بغرناطة ، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ، ثم ابنه الغنى بالله محمد من بعده ، وعظمت مكانته ، وشعر بسعى حاسديه فى الوشاية به ، فكاتب السلطان عبد العزيز بن على المرينى برغبته فى الرحلة إليه ، وترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق ، ومنه إلى سبتة وتلمسان . وكان السلطان عبدالعزيز بها ، فبالغ فى إكرامه ، واستقر بفاس القديمة ، ثم تولى المغرب السلطان المستنصر أحمد بن إبراهيم ، وقد ساعده الغنى بالله صاحب غرناطة مشترطاً عليه شروطاً منها تسليمه ابن الخطيب ، فقبض عليه المستنصر ، ووجهت إليه تهمة الزندقة ، وسلوك مذهب الفلاسفة ، وسجن ، وقتل فيه خنقاً، فاتح عام 776 هـ = 1374 م ، ودفن فى مقبرة باب المحروق بفاس ، وكان رحمه الله أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتهجس هواتفه بالشعر يبكى نفسه ، ومما قال فى ذلك :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفسنا سكنت دفعة ... كهجر الصلاة تلاها القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلى ... غربن فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا ... وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقة ... فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدى ذهب ابن الخطيب ... وفات ، ومن ذا الذى لا يفوت
ومن كان يفرح منهم به ... فقل يفرح اليوم من لا يموت

ولقد ترجم لنفسه بآخر كتابه الإحاطة ، وعرّف به بتوسع أحمد المقرى فى كتاب نفح الطيب ، وعد تصانيفه نحو الستين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة

للشيخ الكاتب الرئيس عبد الله ابن الخطيب

سامحه الله آمين

أما بعد حمد الله الذى قدر الحكم وأحكمه ، وبين الحلال من الحرام بما أوضحه من الأحكام وعلمه ، ونوع جنس المعاش وقسمه ، وماز كل نوع منه ووسمه ، فأثبته متفاوتا فى درجات التفضيل ورسمه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى فضله على الأنبياء ، وقربه وكرمه ، وطهر من دنس الشبهات شيمه ، فما استعمله فى غير طاعة ولا استخدمه ، ولا أعمل فى سوى البر والهدى بنانه ولا قدمه ، والرضى عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه ، واستظهروا ديمه ، وتواصوا من أجله بالصبر[1] وتواصوا بالرحمة ، فهذا كتاب سميته « مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة » دعا إلى جمعه قلة الإنصاف من المداهن والمعاص ، والمباهتة فى مدرك النور الباصر ، ورضى مظنة النبل منهم بالباع القاصر ، والمناضلة عن الحمى الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر ، ولوضعه حكاية ، وانفثه شكاية ، إذ معرفة الأشياء بعللها مما يتشوف إليه ، ويحرَّض[2] عليه ، وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله مستخلصاً بشفاعة الخلافة ذات الإنافة ، مستدعى برسالة الإيالة ذات الجلالة ، فانسحب والمنة لله الستر ، وانفسح الفتر ، وشفع من النعم الوتر ، واقتدى المرؤوس بالرئيس ، وتنافس الأعلام فى التأنيس ، واتصل الاحتفاء والاستدعاء ، وانتخب الموعى بالوعاء ، وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء

(١) بالبر (ب) .

(٢) ويحرص (ب) .

والطيب والدعاء ، تعرفت فيمن جمعته الأخوة ، والمراعى المتعينة ، برجل من نبهاء
2 موثقيها ، غرني / بمخيلة البشاشة التي يستفز[1] لها الغريب ، ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب ، فأنست بمكانه ، واستظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه ، وشأني في الاغتباط بمن عرفت شانه ، فاست المقت بشاني ، واسترسالي حتى لمن أسالي عناني :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ضميري يتلوه يدي ولساني

ولم يك إلا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله ، مقصود المحل ، وإن زعم[2] للدهر الذي رمى فأقصد ، معتمداً بفتوحات الله ، وإن أرتج الباب بزعمه وأوصد[3] ، مصحباً بمد عنايته ، وإن كمن وأرصد[4] ، لا يمر فاضل إلا عرج على مثواي ، وآتى من البر فوق هواي ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعمةَ اللهِ لاتُحصُوها﴾[5] ، وتعرفت عن صاحبي الفاسي ، أنه قدم علينا من سخرة عملية ، فلي لها الدو المنهوبة ، وتخالل المسنة المرهوبة ، واغتذى الأطعمة التي مزقتها الدموع ، ومطبختها الحمى المروع ، واستقر بالمدينة بعد أزلاز وضرع ، وجدل[6] وصرع ناتق البغلة كاسد الورع ، ونزل بمثوى خمول ، ومحط مجهول ، وكنف ممقوت ، وجوار لا يبخل بغيبة ولا يسمح بقوت ، فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد ، ويغتاب[7] الشارد ، وقد أغرب بغراء الاحتفاء والاحتفال ، واجتنب الإعفاء والإغفال ، وجهزت السرايا إلى التماس نعم الله لخات الأنفال ، فلما عرض عليه الدعوة تعجرف ونفر ، ولما مسح عطفه بالاستنزال زنا وظفر[8] حتى بهت الرسول كما بهت الذي كفر ، وراب يحمل عذراً بارداً ، واحتجاجاً شارداً ، فأقطعته جانب شماسه ، وخليت بينه وبين وسواسه ، ومن

---

(١) يسفر (ب) . (٢) رغم (ب) .
(٣) وأوعد (ب) . (٤) وأرعد (ب) .
(٥) الآية رقم ١٨ سورة النحل .
(٦) ويدل (ب) . (٧) ويقتاد (ب) .
(٨) زنا ، زنوا : ضاق . ومنه زنا الظل: دنا بعضه من بعض أي قاص . ظفر . طفراً وطفورا ، أي قفز ، وتخطى إلى ماوراء .

الغد قصدني فاعتذر ، وأكثر الهذر ، ولم ينبت الله النبات الحسن شيئاً مما بذر ، وكان جوابي إياه ما نصه :

أبيتم دعــوتي إما لبــأو ... وتأبى لؤمه مثلى الطريقه
وبالمختــار للناس اقتــداء ... وقد حضر الوليمة والعقيقه
وغير غريبة إن رق حر ... على من حاله مثلى رقيقه
وإما زاجر الورع اقتضاها ... ويأبى ذاك دكان الوثيقه
/ وغشيان المنازل لاختبار ... يطالب بالجليــلة والدقيقــه 2 ب
شكرت مخيلة كانت مجازا ... وقد حصلت بعد على الحقيقه

وذاع خبرها فعليت عنها الجيوب ، وكلف بها الطالب والمطلوب ، وهش إلى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ، ممن يحوم حول الإدراك ، ويروم درجة الاختصاص لبعض الفنون والاشتراك ، وله في الأدب مساس ، وحلب[1] وإبساس، بما نصه :

رسولك لم يبن لى عن طريقه ... تقرب من حديقتنا الأنيقه
فــلا بأو لدى ولا إبــاء ... ولــكن ساء فى العرض الطريقه
وهب أنى أسأت فــكم صديق ... تدلل واعتدى ، فجفا صديقه
ولا عجب فديت لرفق حر ... يسكن عن مذمته رفيقه
وإنى فيك معتقد ولــكن ... أرى الأيام صادقة حنيقه
على ذى الود ممن ود حتى ... يفارقه وإن أضحى فريقه

فراجعته بما نصه لما أسلفته جزاء مصاعه وكلت له بصاعه :

من استغضبت من هذى الخليقه ... بمغضبة بإنــكار خليقه
ولم يغضب فتيس أو حمار ... مجازا لا لعمرى بل حقيقه
بعثت بمرسلى لك مع عتيقه ... فلم تطع الرسول ولا عتيقه
وطوقت السفير الذنب لمــا ... عجلت به ولم تبلعه ريقه
إمام جماعة وقريع تقوى ... ومبلغ حجة وحفيظ شيقه

---

(١) ودلب (ب) .

فبنت بها على الأيام دار | عن الآلاء تغنى عنه فيقه
وقد عارضت عذرك باعتراف | فزدت مذمة تسم الطريقه
وهل بعد اعتراف من نزاع | وهل بعد افتصال من وثيقه
ومن جهل الحقوق أضاع نفسا | ببحر الجهل راسية غريقه
ومنجى نيقه أمر بعيد | إذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ وأقصر ، ورد الأمر بطول فاختصر ، إلا أنه تمالى عنه
3 قوله : / إن دكان الوثيقة أزنى فى الورع بغير بلده ، وأذهلته لذة لدده ، عما هو بصدده ، فارتهنت له أن أسلم الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل ، وينكره الأرعن الجاهل ، وتشد به المنازل والمناهل ، والمعالم والمجاهل ، مستنداً إلى الحكم الشرعى ، والستر المرعى ، والمشاهدة والحس ، وشهادة الجن والإنس

ولو ترك القطا يوما لناما

والله يجعله موقظا من السنات وازعاً عن كثير من الهنات ، وينفع فيه بالنية ، فإنما الأعمال بالنيات ، وها أنا أبتدئ وعلى الله الإعانة ، وبحوله وقوته الإفصاح والإبانة(١) .

قلت : ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب :

الباب الأول : فى جواز الإجارة فيها عند العلماء .

الباب الثانى : فى الشركة المستعملة بين أربابها .

الباب الثالث : فى محلها من الورع إن سوغها الفقه .

الباب الرابع : فى منزلتها من الصنائع والمهن .

الباب الخامس : فى أحوال منتحليها من حيث العلم غالباً

الباب السادس : فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه .

الباب السابع : فى رد بعض ما يحتج به فيها .

الباب الأول : فى إجارتها عند العلماء . قلت : وطلب الإجارة فى عمل الوثيقة على افتراضه بخلاف ما هو عليه اليوم ، وذلك بألا يتعدى المستأجر قيمة عمله فضلا عن الاستزادة والتصريع ، وطرح محتقر المبذول ، واسترجاع المكتوب .

---

(١) الإنابة (ب) .

والأخذ بالعظم(١) فى ضرورة الأداء ، وهذا اليوم فاش يشهد به الجم الغفير والسواد الأعظم ، وتصدقه الخبرة ، ويجلوه العرف والعادة ، ويترامى إلى أقصى حدود الاستفاضة ، فكيف به على خلاف هذه الصورة بما لا يشمله على الإطلاق التسويغ فى الشرع ، ولا ينجيه على التقييد والإطلاق الورع ، قال صاحب كتاب المناهج الشارح للمدونة(٢) عند الكلام فى أجرة الوثيقة ما نصه: « إن كان يكتب الوثيقة ولا يشهد فيها ، فلا إشكال فى جواز أخذ الأجرة على ذلك » يعنى أنه يجرى مجرى كتاب الرسائل والوراقين ، وفى نفيه الإشكال عن الكتاب للوثيقة / مع الاقتصار عليها دون الشهادة ، وإن أوهمت حاله(٣) الورع نظر ، فإن 3 ب
بعض العلماء يرى أن قوله تعالى ﴿ ولا يَأْبَ كاتِبٌ أن يكتبَ كما علَّمه اللهُ ﴾(٤)، فرض كفاية وهو قول الإمام محمد بن إدريس الشافعى(٥) رضى الله عنه ، وحسبك نظره ، حتى إنه إن لم يوجد أحد يكتب إلا ذلك الواحد ، وجبت عليه الكتابة ، وإذا كان ذلك واجباً عليه فكيف يجوز أخذ الإجارة عليه ، ومن القواعد أن ما أوجب الله تعالى على عبده لا يجوز أخذ الأجر عليه ، كإنقاذ الغرقى وشبهه للقادر عليه ، فرفع الإشكال مع تقرير ما قلناه مما لا يهمل لحظه ، وظاهر الآية الكريمة أن الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بالعلم ومعرفة أحكام الشريعة ، وجب عليه أن يكتب شاكراً لتلك النعمة ، ويكون فى الآية معنى الجزاء والمقارضة ، كقوله ﴿ وَأَحْسِنْ كما أَحْسَنَ اللهُ إليكَ ﴾(٦) .

---

(١) بالكظم (ب) .

(٢) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل على كشف أسرار المدونة ، ذكر ابن فرحون فى الديباج ص ٢٧٤ : محمد أبو بكر بن عبد الله بن يونس التميمى، صقلى ، ألف كتاباً جامعاً للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات وعليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة ، توفى ٤٥١ هـ وجاء في بروكلمان ذيل ١/ ٣٠٠ : مناهج التحصيل ...

(٣) حالة (ب) .

(٤) الآية رقم ١٨٢ سورة البقرة .

(٥) محمد بن إدريس الشافعى أبو عبد الله ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ .

(٦) الآية ٧٧ سورة القصص .

وقد أشار إلى ذلك الإمام الفخر[1] رضى الله عنه فى تفسيره[2]، وعلى فرض أن يجيز النظر أخذ الإجارة لكاتب الوثيقة فقط من غير تلبس بالشهادة، فلا يجيزه الورع لمحل الشبهة، وما يريب من يستبرى لدينه فى أخذها من مفهوم الآية الكريمة، أو بعض مفهوماتها إن احتملت غيره، وإن كان يكتب الوثيقة ويشهد فيها، وقد استمر عملهم فى مشارق الأرض ومغاربها على أخذ الإجارة على ذلك، واتخذوا لذلك فى أمهات البلدان أسواقاً يجلسون فيها لبيع الشهادة، ورأوا ذلك من أطيب المباحات[3]، ويا ليت شعرى من أين أخذوا ذلك، هل وجدوا نصاً للإمام أبى عبد الله مالك بن أنس[4] رضى الله عنه، أو لأحد أصحابه، أو غيرهم، هيهات هيهات الغريق يتعلق بأرجل الضفادع، ثم قال: ولا متمسك لهم فيما وقع من أن الشهادة إن كانت عند أحد لأحد بالبادية، وعسر عليه الإتيان لأدائها فى الحاضرة أن يكرى له دابة يأتى عليها، لأن ذلك ليس إجارة، بل من باب من أراد أن يقوم لأداء شهادة فثقل عليه القيام، وأخذ الأجر بيده حتى قام، قلت: يتضمن هذا الفصل فائدتين: إحداهما / فى 4
عدم جواز أخذ الإجارة لكتاب الوثيقة فقط بالنظر إلى أظهر مفهومات الآية الكريمة مع الشهادة مطلقا بالنظر إلى الفقه فضلا عن الورع، وثانيهما الشهادة لمدعى باسم الطريقة بكل زمان ومكان، وهذا القدر يغنى عن الإطالة.

الباب الثانى: فى الشركة المستعملة بين أربابها، قال ومما يفعله الشهود، أن يجلس اثنان منهم فأكثر فى حانوت واحدة على جهة الشركة[5] فيما يقع من الأجرة، وهذا أيضاً مما يسع[6] جحده وإنكاره، وعليه الآن العمل، وهى شركة أبدان فاسدة، إذ يتفق فيها كثيراً أن يأتى رجل واحد لكتب العقد

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن الرازى، فخر الدين، ولد بالرى من أعمال فارس ٥٤٣ هـ وتوفى بهراة ٦٠٦ هـ.

(٢) تفسير الرازى ج ٤ ص ١٢١.

(٣) العبادات (ب).

(٤) مالك بن أنس ولد ٩٦ هـ وتوفى ١٧٩ هـ.

(٥) من أول الباب الثانى إلى قوله «الشركة» ساقط من (ب).

(٦) يسمع (ب).

فيكتبه الشاهد الواحد ، ولا يفعل الآخر فيه إلا الشهادة خاصة ، أو يكتبان معاً ، ويكون أحدهما طبعه الاختصار ، والآخر الإطالة ، فلا يحصل التساوى فى العمل ، أو يأتى عقد بديهى فيحتاج الأعرف منهما أن يكتبه دون الآخر ، أو يكون أحدهما أفقه لكن ركيك الخط ، فيتعين صاحب الخط الحسن إلى الكتب ، ويقتصر الآخر على وضع الشهادة خاصة ، وهذه شركة فاسدة ، قد حكم بفسادها حسبما ذكر صاحب المناهج وغيره ، وإن لقوله باعتبار الحيل الفقهية سببا من نسج العناكب حضره الورع الذى ادعى ، وفقدانه فى دكان الوثيقة جر إلى هذا التقييد .

الباب الثالث : فى محلها من الورع إن سلمها الفقه . قلت : ولما كان الورع أمراً زائداً على الفقه وهو ترك ما لا بأس به ، حذار ما به البأس ، لما ورد فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث الذى ادعى فيه التواتر ، وقيل فيه ثلث الإسلام : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات أومشبهات» كان تأتيه بعيدا ، وكيف يتأتى للفاعل(1) بدكان الوثيقة تمام الورع ، وهو يقبل التعريف بالمشهود عليه ممن اتفق ، والحق فيه أن يكون عدلا بالنظر إلى باب الشهادة والخبر ، وهذا يندر(2) ويضيق عليه مع طلبه الزمان ولا يقتضيه التمعش ، ومنه الشهادة على صفة المرأة غير المتأجلة وسماع كلامها ، وكثيراً ما جر ذلك على رجال فضلاء الفتنة فى غير ما خبر وحكاية ، ولعله لا يملك زمام نفسه وهوى قلبه ، ومنه الشهادة على الخط ، وفيه من الخلاف ما يضيق عنه مسلك(3) الورع ، ومنه أن يتوقع إغفال بيان قضايا عند الشهادة ، وفى ذلك جرى(4) إضاعة الحقوق ما يتحرج منه صاحب الورع ، ومنه أن يعول فى الشهادة على مجرد خطه ، وقد أدى الناس الشهادة على غير خطوطهم ، والمشهور من المذهب أنه إن لم يذكر القضية فإنه لا يؤديها ، وفى اقتحامه هذا اللج الخطير أوطرح المكتوب أيضاً فى وجه المسكين الذى طلب الأداء ومباشرة لجعته مع الشك فى كونه محقًّا ما فيه ، وإلى ما تسوغ اليوم فيه من الشروط الواقعة فى عقود الأنكحة ، ب

(1) للقاعد (ب) . (2) يقدر (ب) .
(3) سلك (ب) . (4) جر (ب) .

وكثرة جريانها ، وعدم التفرقة فيما ينبغى أن تفرق فيه الشهادة الواقعة فيه بالزمان ، كالشهادة على الولى فى وقت ، وعلى الزوجة فى غيره ، وإلى أخذ الإجارة من أندال النـاس وأوسـاخهم ، وذوى المهن الغثة من الحجامين والـكنافين وأرباب المـكاسب الخبيثة ، وأصحاب العاهات والزمانات ، والأمراض المتعدية التى أمر الشرع باجتنابهم ، وتسليم الصدقة إليهم على قيد الرع ، ومن المنقول : « لا تدخل ولدك جزاراً ولا حناطاً ولا بائع كفن » ، قيل فى الجزار لإلزام القساوة ، وفى الحناط أو بائع الحنوط أو الـكفن لما يلازم ذلك من حب غلاء الأسعار على توال ، أو حب كثرة الموت الواقع فى الناس ، فالوثيقة مشتركة الإلزام فى سبب النهى ، ومن يدعى أن النفس من الموثق تعزى عن الاكتراث عند اصطلاح الزوجين من معنى الطلاق وهو أبغض الحلال إلى الله ، وموقف الفرقة وبت العصمة وشتات الشمل لمـا يعانيه من نفور الصدر وفوات الأجرة ، فهو غير درب بعلل النفس ، وإنما تعرى عن هذا وشبهه نفوس أهل المجاهدة
وأرباب الهمم ، وأمثال هذه / القضية من التدمية التى يستأجر الموثق إلى الوقوف 5
لمشاهدة قتيلها ، فترفع إجارة وقوفه إليه عند إفاقته وغير ذلك ، ولو تتبعنا الجزئيات التى تنافى الورع فى دكان الموثق ، كالقعود منتصباً بياض اليوم بقارعة طريق تقع عينه على المنكر والعورات التى يحرم النظر إليها ، ويسمع الفحش والسباب لطال الـكتاب ، وفى البعض دلالة على الـكل ، وفى الإشارة ما يغنى عن العبارة ، والله الموفق لما فيه رضاه ، ولقد حدثنى من أثقه أن بعض أشياخه من أهل هذه الصنعة وسمّاه ، قال دعوت يوماً رجلا صالحاً إلى منزلى ، وهو لا يعرفنى توسمت فيه الخير عند مروره ببلدنا ، فرأيت رجلا كبيراً من أهل العلم والعمل ، فلما عرضت عليه الطعام لاك منه لقمة وطرحها من فيه ، فتلطفت فى استفهامه ، فقال : عودنى الله مهما أكلت حراماً أن يصيبنى الوجع ، وهذا الطعام تنقّد نفسك فيه ، فإنه من الحرام ، فقلت : هو من معيشتى وأنا شاهد من العدول ، فاستبصر حينئذ فى الاجتناب، وقال : هذا هو الحرام الذى لا شبهة للحلال فيه ، قال : ولقد كاشفنى بما يدل على جلالة قدره .

الباب الرابع : فى منزلتها من الصنائع والمهن . قال المؤلف : ويكون الموثق قد تحصل تحت القدر المشترك مع أرباب الدكاكين ، وذوى المهن المستخدمين فى الأعمال المستأجرين لغير معين من الكافة ، ذا يد سفلى لالتماس الأجر ومكاس يتحصن به من الغبن ، وميزان مضاجع لأقلامه يخبر به رجحان الفلس ، وميذق يستكشف به عوار الزائف من البحث ، وراجع إلى عريف يبالغ عمله ، وهو قاضى أدائه ، فيوجب له من أعمال كده أو أدبه ولوفى سبيل إرشاده بحسب إجادته أو تقصيره ، فما الفرق بينه وبين سائر ألف من الأساكفة[1] والخرازين[2] والحاكة[3] ، وأرباب أسواق المضغ من الخبازين والسفاجين .
5 ب وكثير من أرباب المهن لانحطاطه فى دركات الخسة ، وعرض عمله على المصيطر[4] ، وربما يفضل من ذكر من الباعة بأمور منها تهى سقوط الحشمة ، ورفع كلفة الرياء ، وخفة العقاب عند مواقعة الجناية ، فعقاب جنايته فى الآخرة أشد من عقاب سارق المضغة ، ومطفف الكيل ، وفى الدنيا كلما عثر عليه القاضى أسقطه وختم دكانه إلى التجريد والطواف والتمثيل وقطعه المعيشة مدة القاضى المتولى لذلك ، وإذا عجز استصحب الحال من بعده ، ولقد اكترثت بحال أحدهم كلما مررت به حال ظفره باكتتاب صداق ، حاسر الذراع يعالج نفض الجير عن عن رقه ، فتارة ينشره ويلحه بلسانه ، ويجهد أن يشمل سطحه بلعابه فيلعق الكلس يبلل لحيته وشفتيه ، ويطير الغبار إلى عينيه ، وتارة يدرجه إلى أن يصير يراعة جوفاء ، وينفخ فيها كالنافخ بالآلات النفيسة ، وتارة يسوط بها جنب متوكئه وغلق حانوته ، فكيف لا يعد من يبرز فى هذا الطور حتى يتسبب فى إذاية أهل الذمة ومجتنى المجذومين من أرباب المهن والمحترفين بأخس الحرف ، وأنى بالحشمة لرجل ينصرم عمراً مستردداً إلى الدكان على رجله ، مشترياً أدنى

---

(١) الإسكاف عند العرب كل صانع ، سوى الخفاف ، فإنه الأسكف ، تاج العروس ٦ /١٤٣ .

(٢) الخرازون : مفرده خراز ، من خرز الخف وغيره أى خاطه ، وأصل الخرز خياطة الأدم . تاج العروس ٤ /٣٢ .

(٣) الحاكة ، مفرده حائك ، من حاك الثوب إذا نسجه ، تاج العروس ١٢٤/٧ .

(٤) المسكين (ب) .

المشتريات بنفسه ، مزاحماً على الأدم أندال بلده ، مستصحباً شكيرة دنسة من الجلد قد صيرها شراء المؤتدمات ومباشرة الودك ، وعرق الكف كمدالك[1] الحجامين فيها مفتاح خشبي يباشر به فتح المغلق كل يوم مع الشاقة ، بحيث يقع كثيراً على ضلفته فيدميه ، من غير عبد يكفيه ، ولا خديم يرفهه ، ثم إنه ربما طرقته حاجة الإنسان على بعد منزله ، أو اعتراه ذرب أو إسهال ، فلابد له من تعجيل الخطى[2] أمام ما يحفزه ، فإما أن يجد ميضأة يقتحم فيها البيت على غيره ، ساحلاً على هامته أو يلحق منزله بجريعة الذقن ، أو يسيل سلاحيه على عرقوبيه ، فكيف لا يأنف أولو الحشمة من التعرض لهذا الهضم ، وكان عندنا عدل من شيوخ بني الورد المعروفي البيت ، يقعد بدكانه يجتر بلوطاً جافاً على الدوام حرصاً على / انعقاد فضلاته من البول والغائط توقعاً لما ذكره. ولقد خطب الفقيه العاقد بالمرية المعدود من مفاخرها الثلاثة المعروف بابن الصائغ[3] وهو شيخ العدول ومن أهل المالية ، إحدى بنات ابن دنون من أعيانها ، فقالت : لا أرضاه حتى يتوب من التوثيق ، فإن الموثق ليس من أهل الحشمة ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : كل من يلازم أي دكان كان لأي شيء كان فهو سوقي ، لا سيما إذا كان يعمل عملا بدرهم ، فاشترط لها أن يحتبس[4] متى أحب لمباشرة أموره وحساب وكلائه من غير انتحال شهادة ولا كتب ، فكان ذلك إلى آخر عمره ، وهذا معروف حيث ذكر .

الباب الخامس : في أحوال منتحليها من حيث العلم غالباً ، قلت : ولا يخلو حالهم من أحد أمرين ، إما أن ينتحل الوثيقة بعد تحصيل الفنون العلمية واستكمال السن ، ومن حيث كانت مهنة وعملا شق الاضطلاع بها مع الكبرة وتشاغل الولد والمنزل ، والمنظر إلى إصلاح المعاد والمعاش مع التدقيق ، إذ موادها لا تحصل

---

(١) مدالك ، جمع مدلك وهو هنا قطعة من الجلد طويلة ملساء يصقل عليها الحجام الموسى .

(٢) الخطو (ب) .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي ، المشهور بالصائغ الخطيب ، شيخ القراء ومسندهم ، ولد سنة ٦٣٦ هـ وكان شاهداً عاقداً ، توفي سنة ٧٢٥ هـ .

(٤) يجلس (ب) .

إلا بالمران من حفظ النصوص ، وكثرة المزاولة والخبرة ، والبون بين تعليم الكبر والصغر مما ضربت به الأمثال ، حتى فى رقص القردة ، وقال الشاعر :

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم فليس ينفع عند الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

فكثيراً ما يكون جبان القلم غير مطواع العبارة ، ولا مستحضر ما تحتاج إليه الوثيقة من الفقه ، وإن كان عالما به على الإجمال ، ورحمة الله على القائل : « ما ناظرت صاحب علم إلا غلبته[1] ، ولا صاحب جهل إلا غلبنى » ولا يبعد أن يرسمها بغير المعهود ، وبخلاف المألوف لقلة المران ، ويبر عليه الحديث ويغبر فى وجهه السكيت ، ولقد وقفت بمدينة سلا على عقيد بإثبات عيب فى دابة بخط من يدعى المعارف من شيوخ موثقيهم ، ويتسور درجة التعليم ، كانت والله أستاره اثنى عشر ، ومواضع[2] الغلط لقلة المران فيه سبعة ، خمسة من جهة اللسان / واثنان 6 ب
من جهة الفقه ، يختص من الغلط بكل سطر غلط واحد وخمسة أسباع غلط على مقدر الفريضة فى غلط الموثقين ، وإما أن يكون مباشرته إياها من لدن الحداثة وزمن الصغر ، فيطرح بالدكان غير مستعمل فى شىء من مبادىء العلوم إذ المكان مكان عمل مكلفاً باستنساخ مثانى العقود ونظائر الأصول مستخدماً فى مبادىء النسخ واقتضاء الشهادات إلى أن يترعرع فيتاح له الشهادة على الرسم المذكور من اقتحام المذكور حمى الورع ، فيقعد فى مزود محصور بتابوت الخشب ، وفيصل البناء كى لا يزاحمه جليس ، ولا يباشر تصديقه زميل ، يقعد القرفصاء ، مطوى الركبة ، مضايق الجلسة ، معقود الطرف بالسماط ، مصغى الأذن إلى المشاجرة ، قد ابتاع من دنى الكاغد درجاً فصله عوارض ومخروطات استكثاره بالقصاصة ، وقد فاته زمن التعليم فلم يستفد فيه شيئاً من الإعراب ، ولا لفظاً من اللغة ، ولا حكماً من الشريعة ولا بينة من التعاليم ، ولا فقرة من الأدب ، فاذا ابيضت سبلته ، وعلت سنه ، وأمله العوام لنوازل دينهم كان مثار فضيحة ، وجالب مضحكة ، فلقد كتب أحد الشيوخ ممن هذا شأنه فى عقد يتضمن افتتاح باب ما نصه : على أن يفتحان كذا ، وأن يغلقان كذا ، ورده عليه أحد

(١) غلبنى (ب) (٢) ومواقع (ب) .

أصحابنا فأعاده إليه وقال لحامله : قل للفقيه قال سيبويه[١] : تثبت النون فى باب يفتحان ويغلقان ، ولقد استفتت عجوز من معارفنا كبيرا منهم وقد حلفت بصوم العام تصومه وتقومه على باب جهنم ، وكثيراً ما تقول النساء هذا ، وتحرجت المسكينة لدينها ، فأمرها أن تصوم وتفطر كل ليلة بباب الفرن ، إذ لم يوجد فى هذا العالم على ما ظهر لى أقرب منه إلى جهنم لما عدم الأدلة الشرعية ، ولجأ إلى القياس من الفرن ، فكانت تحمل كل ليلة لقمة وكوزا من الماء إلى باب الفرن ، فعند سماع الأذان تلوكها مدة من عام ، وما زلنا نستعذب هذا العمل
7 وتتفكه به ، ومن المعروف / الآن بمدينة فاس عن مسن منهم قوله لمن استشاره فى أمر : الله الله يا ولدى فى السعد مالك أرشد منه ، يظن أنه مما يحاول من الأعمال ، إذ سمع ذكر السعد وغناءه[٢] ولم يدر معناه لغباوته . كان بعضهم ممن صحبناه يقول فى أثناء حديثه : إن كان كذا وكذا فنعم وبئس ، وإن كان كذا نفعل كذا ، فيظن نعم وبئس مثل بها و نعمت، و نستدرجه إليها فى سبيل الفكاهة، فنقضى من الضحك والاستغراب ما شاء الله من غير شعور لديه ، ولقد كتب بعضهم بسلا حسبما وقفنا عليه فى الحكاية عن امرأة طائعة بذلك غير متبرعة ، والحكايات من مثل هذا لا تحصى ولا تضبط إلى ما لا يزال يسمع فى ألفاظهم ومحاوراتهم من الألفاظ العامية كقولهم قليل التحصين فى قليل التحصيل ، وفاضل اللذات فى فاضل الذات[٣] ، وسرير الأيام فى سائر الأيام وما أعطى الكمال إلا لله ، وأمثال هذه ، وينشأ المتدرب المذكور مع هذا لفقده الترف والخصب زمان التربية ، ومرانه على اقتضاء الثمن من الحقير ، وعدم تهذيبه بالرياضة على شيخ عظيم من رذالة البخل ، ولقد حدثنى شيخنا الفقيه الصالح المحدث كاتب الدولة النصرية ابن الجياب[٤] رحمه الله ، قال : كنت أقعد بدكان العدل أبى

---

(١) عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، أبو الحسن ، ولد بالبيضاء قرب شيراز ، ثم وفد على بغداد ، توفى بوطنه ١٧٧ هـ وقيل ١٩٤ هـ .

(٢) وعناه (ب) .

(٣) فاضل الذات (ساقطة من ب) .

(٤) على بن محمد بن سليمان الغرناطى أبو الحسن ابن الجياب ، ولد ٦٧٣ هـ وتوفى ٧٤٩ هـ .

عبد الله بن سعيد العنسى من ذرية عمار بن ياسر ، ومن ولى القضاء بالحضرة ، ويصل إليه العقد من أحد العدول مصحبا بقلم قد مده الشاهد فى الحبر فيوقع الشهادة ولا تفى مادة الحبر بتمامها فيعادالقلم ليصبغ فى ليقة كاتب العقد ضنانة وبخلا، ولقد رأيت رجلامن أغنيائهم بسلا يكثر دخول الحمام من غير جعل ، ويقعد بإزاء قدر الماء الحار وقد ضم حواليه أكوابا يدسها بين أكواب الناس ، ويجتذبهم إملاءها فى تضاعيف عملهم ، ولا يزال يسكبها عابثا ، ثم ينصرف وقد رزأ ما يستحق الثمن الكثير عن حمل من قومة الحمام ، ودعاء بالسوء والخيبة . ولقد قعدت مع أقوام منهم قلما يمر حامل باكورة بقل / أو فاكهة إلا ويستدعيه 7 ب
ويستدنيه لينظرها ويتناول بعضها فيحصل على كفاء شهوته ذواقا ، وكثيراً ما أمرُّ بهم وشيوخهم بحضرة الملك يقلبون أسراب دجاج قد (أوحى هكذا المحروب) الحبل على أرجل الجملة منها شداً وبقيت أجنحتها مرسلة . فإذا تناول أحدهم الدجاجة ليختبرها نفخاً فى دبرها وتحت ضبنها(١) ، ورازها(٢) بيده ، وسبر(٣) بوسطى أصابعه رحمها عن البيضة كما تفعل القوابل صاح ما دونها من الدجاج المرتبطة بكل حانوت ، وضرب الأرض بأجنحته ، فيتكدر جو السماء غباراً ، وتصطك المسامع صياحا ، وتمتلىء سبالهم (٤) شعثا وزبيراً(٥) ، وهم مكبون يفلون الرياش عن العروق ، فيعظم عجبى لذلك ، وقد أقدرهم الله المشاحة لبائعى الأدم والمضغ وغيرها من الماعون على مالم يقدر عليه غيرهم ، فهم يمتازون من الناس فى تلك المزدحمات ، فإن كان الذى يشترى فاكهة لقط أفاضلها بيده ، أو عين عيونها بسبابته ، أو لحما تخير قرقه(٦) ، وارتاد ملذة من الأعضاء المتفرقة ، واسترجع واستبدل العظم والمعا علاوة على الحمل ، ولقد رأيت علماء من أعلامهم ذوى الشاخة والسن والمال العريض يضائق ضعفة جيرانه من كتاب الرسائل العامة تحت الظلال فى كتب

---

(١) الضبن : ما بين الإبط والكشح .
(٢) راز ، روزا : جرب .
(٣) سبر ، سبراً ، خبره وقاس غوره .
(٤) السبال : الشوارب . (٥) الشعث : الاغبرار .
(٦) قرق ، مكان مستو لاحجارة فيه ، ، وهنا اللحم لا عظم فيه .

البراءات ، والرسائل الخاملة ، والمراجعات والمرافعات والفروم ، على خمول الأجرة وخسة الغرض ، وركاكة الخط ، إذ الغالب على خطوطهم الركاكة لعدم استجادتها ، والمران على إصلاحها وتحسينها ، والاشتغال بأخذ الدرهم ، ولقد شهد بعض شيوخهم بالقة على امرأة من البادية ببعض القرى فقصرت الإجارة عن غاية رضاه لخلو يدها عما يحسم طمعه ، وكان بيتها أحمال تين ، فرفع فرداً من التين وخرج به ، وأعياه ، فأغار على حمار كان مرتبطاً بإزاء البيوت ، وانصرف بالجميع . وأما منافرة الجار المشارك فى الحرفة ، وإحصاء مساويه ، والولوع باغتيابه فكأنه خصلة لازمة ، ولقد جرى حديث بعضهم ، فقال أحد الشيوخ الموثقين اليوم بسلا : لا يسمع حديث فلان فى فلان فإنه عدوه ، فقيل : ومن أين وقعت هذه العداوة ، فقال : ياسبحان الله أليس حانوته قبالة حانوته . جاداً من غير مزاح / يحسب والله الجوار من ملزومات[1] العداوة والأمور الشرطية ، هذا بعض شأن أرباب هذه الحرفة التى يعرفها الجمهور ، وتحج منكره المشاهدة والحس ، وإن ندر[2] خلافه فإنما الحكم للغالب . 8

الباب السادس : فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه ، قلت : ولا يخلو حال الموثق من أحد وجهين ، إما أن يكون من أهل الشؤم ، والحرفة والرغبة عنه ، وكثيراً ما يجرى ذلك نضله ، فمن اشتهر بالتوقف والتحقق والتحرى نسب ذلك عنه إلى المران والوسواس ، وعدم المساهلة وسوء الخلق ، وكثر بسببه فساد المعاملات ، لا سيما إن كان مع ذلك يطول منه زمان العمل لتفقد الوثيقة وإحكام فصولها ، فيناط به التقصير ، وإن وافق هوى أحد الخصمين لم يوافق هوى الآخر فأقطع جانب الهجران ، فتلقاه ظاهر الكآبة مغموماً أسوء الحظ ، مسخطاً على الأيام ، ظاهر التقشف ، مرقوع الثوب ، قرماً إلى الأدام ، غفل الزمان عن المواسم ، لا يفرج همه بالنظر والمطالعة والدراسة ، خوفاً أن يكون ذلك زائداً فى حرمانه وذريعة إلى تنقصه ، إذ من قواعدهم أن العامى يظن فيمن استظهر منهم بكتاب أنه من ذوى البداية ودرسة المصاحف ، وممن لم يفرغ من العلم وحفظه ، فينتقص لذلك ويقصد غيره ممن يظن به خلاف هذا ، ولا تتأتى

---

(١) ملازمات (ب). (٢) برز (ب) .

المطالعة مع هذا أو إعمال النظر إلا بعد إمعان الفكر واجتماعه ، وشأن الموثق شأن صانع الطير من جولان فكره ، وتقلب حدقته ، وصرف نظره كله إلى حبالته ، ولا يشغل أيضاً وقت فراغه بذكر الله للتشويش الذي يلزم من مباشرة السلك والضجر من الاستشهاد في وثيقة الجار ، ويقعد منتصبا بياض يومه جليس الهيدورة تقع عينه على المنكر والعورات ، وتجول بإذنه الكلمة العوراء الفاحشة يتصارفها الأنذال والصبية والشباب ، يتخاطب به السفلة ، وتمقل النعم المارة به في الأسواق ، فلا عيشة هنية ، ولا حال ورع مرضية ، وإما أن يكون من أهل البخت والاستعمال والنفاق وكثرة الغاشي والمنتاب ، وكثيراً ما تجره المساهلة والتنزل والبشاشة والدخول في فضول القول والعمل ، واستنزال الأهواء ، ومجاراة الخطاب والسماسرة حتى تتيسر العقدة ، وتتسنى البغية ، ويجر ذلك كديده وسخرة قدمه ، سيما إن كان مجلس قاضيه نائبا عن محل قعوده ، ومن دون عقبة كؤود كالحال بمدينة سلا ، إلى جهد فكره وحسد جاره وخطأ قوله ، وضعف حظ الله من حصة زمانه ، وعلى الحالتين من نفاقه وكساده ، فقد

8 ب دهاه ورعه ، وخبثت نيته ، وسقطت حشمته ، إنما هو عبد مسخر / وأجير مكدود ، وإذا اكتسب المال امتنع من الانتفاع به وتحصيل غايته ، والالتذاذ بثمرته ، فأظهر ثمرات الجدة المأكل الشهي والملبس البهي ، والمركب الفاره ، فأما المأكل فلما كان يرى نفسه متعيشا من كد جوارحه ، ويتوقع الإنشاء والتعمير إلى زمن الهرم وأرذل العمر ، واختلال الجوارح ، صار جماعة مقتصداً متصفا بالتقتير غالبا ، وأما الملبس فإنه يرى أن الأبهة وحسن الزي والرياش ينفي كثيراً من رزقه لتهيب الضعفاء إياه ، وتخيلهم أن إجارته من نسبة هيأته فلا يقدمون على احترامه ومعاملته بيسيرهم ، ويجدون المندوحة عنه فيمن يرضى باليسير فما يستقل من أجله ، وأما المركب فيجوز هذا المعنى وزيادة ، وهو إضراره بالناس مرتبطا بإزائه أو واقفاً تجاه دكانه مستدبراً جاره ، رانيا وجهه إلى ما يلزمه لذلك من مسايرة رفيقه راجلا عند الدعوة والأداء ، وذلك مما يسخطه ويقتضي عدم مطاوعته ، وهذا الفصل يحتمل من الكلام أكثر من هذا ، لكن القصد الاختصار .

الباب السابع : فى الجواب عن فصول يحتج بها من يناضل عن هذه الطريقة ، ونحن نجيب عن مسائل فى هذا الباب نعلم أنهم يحتجون بها حتى لا ندع فيما ذهبنا إليه إشكالا ، فيكون الموفق يتدارك أمره ، والمصر يعرف قدره ، فصل : إن قيل : كيف تذم الطريقة ومحلها من الشرع محلها ، وبها تثبت الحقوق ويتوثق لها ، ولذلك سمى معانيها وثاقا ، وقد وقعت الإشارة إلى كثير من مقدماتها ولواحقها فى كتاب الله ، قلت : نسلم فضل الطريقة ومشروعية الاكتتاب والشهادة ، ولو بقيت بحالها لوجبت الرغبة فيها ، والثناء عليها وعلى منتحليها ، إلا أنها استحالت إلى فساد ، وخلعت صورتها الشرعية لابسة صورة المنكر ، فمنزلتها منزلة الأغذية الطاهرة التى استحالت إلى الفساد ، وكالماء المشروب إذا صار بولا ، والطعام الطيب إذا عاد عذرة ، والعصير إذا أصبح مسكراً ، وغيره مما استحال عينه ، فلو حمل بعد الصيرورة عليها وصف الأصل لكان ذلك من باب الإخلال بالأوصاف والموصوفات فهى شريفة بالنظر إلى غايتها ومادتها ، خسيسة بالنظر إلى فاعلها وسوء استعمالها الذى صار منها بمنزلة الصورة من المادة .

فصل فإن قيل فساد دعواها غير مسلمة ، قلت : الشاهد فى وقتنا ووطننا الحس والمشاهدة ، وفى غير وقتنا وبلدنا الخبر المتواتر والنقل الصحيح ، فمن
كتب / نقلنا عن صاحب المناهج وغيره إنكار اتخاذ الحوانيت بكل مكان 9
لبيع الشهادة :

وليس يصح فى الأفهام شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل

فصل : فإن قيل لا ينبغى أن يحمل الفساد على كل من انتحل الطريقة ، وفيها التقى البر والكثير التجر ، قلت : نسلم ذلك إلا أنه إذا كان بهذه الصفة اليوم يستلزم من الهجران والحرفة ، وقلة الاستعمال ما يصير لأجله من قبيل المعدوم ، ووقوع الخير كما قلنا نادر ، والحكم المطلق على الصنائع والحرف أكثر عند التحسين والتقبيح ، مع أننا إن سلمنا له العفة والعدالة لا نسلم له الورع لما تقدم من الانتصاب والشركة والاستجارة .

فصل : فإن قيل دليل صحتها ، واتخاذ الدكاكين لها الإجماع ، قلت : إن عنى به إجماع الصحابة فممنوع ، إذ لم ينقل عنهم أن شاهداً اتخذ حانوتا ، وطلب على الشهادة أجرا ، إنما كان الناس يتشاهدون بينهم ، ويتوثقون بخيارهم وفضلائهم لقوله عز وجل : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾[1] ، وفى آية الدَّين واكتتابه دليل على أن المقصود غير متخذ فى الدكاكين لبعد ذلك وامتناعه فى حق المرأة ، وإن عنى به إجماع من بعدهم وهو الإجماع السكوتى ، وفور الأئمة وقضاة العدل عليه من غير تثريب عارضه إلى ما قع فى هذا الإجماع كثرة التثريب وتعدد تكرار الواقعة من خول القضاة فيهم على مر الأيام ، فلقد أدركت بزمانى على مدة شيخنا قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن بكر[2] رحمه الله تعالى إسقاطهم وعزل ما ينيف على سبعين مبرزا منهم بغرناطة ، وعلى مدة السلطان بالمغرب أمير المسلمين أبى عنان[3] رحمه الله ، وقد عين بكل بلد من بلاده عدداً قليلا منع قبول من عداه ، وقل ما تجافى عنهم القضاة إلا يأسا من صلاح الطريقة رأساً لعموم فسادها بالأرض ، وإصلاحها من وظائف السياسات ، والعامة على امتناع ذلك ، ولم يقع خلاف بين المصنفين من الأعلام فى شيء مما قلناه ، فكيف يدعى الورع والاستقامة فى طريقة تكررت فيها توبة فضلاء أهلها بالنسبة إلى سوائهم فى كل مكان وزمان ، فقلما الآن أن تجد ذلك إلا وجدته كذلك ، والفهارس محشوة بذلك فى سبيل الثناء على من وقع منه ذلك ، فلم يستجيزوا لقاء الله عليها ، أتراهم نفروا عن هذه/ الطريقة نفرتهم 9 ب
عن المعصية من غير شيء رابهم فيها لاها لله .

قال بعض شيوخهم بسلا ، لمن ينمى إلى ذلك : أزمعت على التوبة منها والخروج عنها ، وانا أستخير الله تعالى مرات عديدة فى كل ليلة ، فقلت للمبلغ عندى دليل على ذلك ، فاستبشر وقال : ما هو ؟ قلت : كونه سعر أجرتها فيما فرط بحساب درهم للعقد ، ثم إنه اليوم مع الاقتراب من طية الأجل ، ومظنة

---

(١) ٢٨٢ سورة البقرة .

(٢) محمد بن أحمد بن بكر بن على القرشى ، يكنى ابا عبد الله قاضى الجماعة ، توفى سنة ٧٥٩هـ .

(٣) فارس بن على المرينى ، أبو عنان ، ولد سنة ٧٢٩هـ وتوفى مخنوقاً سنة ٧٥٩ هـ.

الخوف من لقاء الله نقل السعر إلى أضعافه ، وتعرفت أنه طلب لرجل ضعيف من البادية ديناراً ذهباً على الأداء فى شهادة ، فهذا دليل الزهد والإزماع ، كما قال الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وكان الأمر كما ذكر ، فاعترف ولم يجد جوابا ، لطف الله بنا وبهم ، وعاملنا بفضله .

فصل : فإن قيل: إنما الأجرة هبة ثواب ، قلت: هذا باطل ، ويلزم الواهب أن يرجع بالغبن فيها ، وإن تتبعه أحكام هبة الثواب ، والحق أن قوله تعالى : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾[1] ، وقوله : ﴿وأقيموا الشهادة لله[2]﴾ يقتضى عدم أخذ الإجارة ، قاله الشيخ أبو الحسن رحمه الله ، قال ابن السيمسرى: شهادتهم ساقطة لأنهم لم يقيموها لله بل الشاهد ساع لنفسه ، ومهتم لفلسه ، هذا نصه .

فصل : فإن قيل : إنما أخذ الأجرة على الكتب دون الشهادة ، قلت : قال صاحب المناهج : هذا باطل لأنه لو لم يشهد لصاحب الوثيقة لم يأته لكتبها ، ولا أعطاه أجرا ، ثم لو كان الأمر كما ذكر لا نبغى[3] له أولا أن يتفق معه على أجر معلوم ، إذ ما يعطى الناس على ذلك تختلف أحواله ومقاديره بحسب همة المعطى ويساره وفقره .

فصل : فإن قيل: اتخاذ الدكاكين والانتصاب فى الأسواق فيه تقريب على الضعفاء ، وتيسير على المحتاجين لإيقاع الشهادة. قلت: هذا مما انعكس فيه القصد مع ما تقدم فى أصل اتخاذه ، إذ صار مصيدة لهم ، ومعصرة لفلوسهم ، والأخذ بمخانقهم ، ومقعداً لأولى البطالة والمشرفين على أسرارهم وحرماتهم :

ما قام خيرك يا زمان بشره أرى أنف بانٍ لا تقوم بهادم

---

(١) الآية ١٣٥ سورة النساء .

(٢) الآية ٢ سورة الطلاق .

(٣) ينبغى (ب) .

فصل : فإن قيل ترك الأجرة وقبول العوض فى هذا الأمر يدعو إلى تعطيله ، فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة وغناءها ، قلت : الإنصاف فيها اليوم أن لو كان متوليها يرزق من بيت المـال ، وأموال المصالح والأوقاف التى / تسع 10
ذلك ، وحال الجماهير فى فقدانها ، والاضطرار إليها ، ورفع أمورهم بها إلى السلطان ، ورغبتهم فى نصب من يتولى ذلك حالهم فى فقدان أئمة الصلاة فى المساجد الراتبة فى جريانهمن بيتالمال بعلة التزامهم وارتباطهم فقط حسبما نقل الاجماع فيه[1] القاضى أبو بكر بن العربى[2] رحمه الله ، والارتزاق من غيره إجماعا ، وقد كان بالمدن المعتبرة من بلاد الأندلس جبرها الله تعالى أناس من أهل التعفف والتعين كبنى الجد بأشبيلية ، وبنى قليل وغيرهم ، بغيرها يتعيشون من فضول أملاكهم ووجائب رباعهم ، ويقعدون بدورهم عاكفين على بر منتابين لرواية وفتيا ، يقصدهم الناس فى الشهادة فيجاملونهم ويباركون على صفقاتهم ، ويهدونهم إلى سبيل الحق فيها من غير أجر ، ولا كلفة ، إلا الحفظ على الناصب ، وما يجريه السلطان من الحرمة والتفقد فى الضرورة ، وما يهديهم الناس من الإطراء والتجلة ، ومن الله سبحانه الأجر والمثوبة ، وبلغنى اليوم أن حالها بمدينة سجلماسة ينظر إلى هذا الحال من طرف خفى ، ولم تفسد بها كل الفساد ، وكذلك لم نزل نتعرف أن الأمر فى شأنها بمدينة تونس أقرب ، وبعض الشر أهون من بعض ، ولو بقيت بحالها لوجب تقرير فضلها ، وتقريض منتحلها ، فالصدق أنجى ، والحق عند الله أحجى ، والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه ، ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقضيه ويجعلنا ممن ختم له بالحسنى ، ويقربنا إلى ما هو أقرب من رحمته وأدنى ، وصلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه والأبناء .

نجز الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه ، والحمد لله رب العالمين ، قال جامعه ومؤلفه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الخطيب عفا الله تعالى عنه بمنه .

---

(١) أحكام القرآن لابن عربى ، تحقيق على البجاوى ج ١/٢٤٨ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الأندلسى ابن عربى أبو بكر ، ولد بأشبيلية سنة ٤٦٨ هـ وتوفى بالعدوة ودفن بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا   يتابع أخرانا على الغي أولانا
ونغتر بالآمال والعمر ينقضي   فما كان بالرجعى إلى الله آولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسى   فما انقاد للزجر الحثيث ولا لانا
جزينا صنيع الله شر جزائه   فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فيارب عاملنا بما أنت أهله   من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

نقد الكتب

كتاب الذخائر والتحف

للقاضى الرشيد بن الزبير

تحقيق الدكتور محمد حميد الله

نقد وتعليق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

هذا الكتاب هو واحد من الكتب الجليلة التى أصدرتها (دائرة المطبوعات والنشر) بالكويت فى مجموعة « التراث العربى » التى تهدف من وراء نشر فرائدها (إلى توضيح ملامح حضارتنا والكشف عما غمض من تاريخنا) .

وقد بدأت الدائرة عملها بإصدار هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه عن نسخة فريدة يتيمة فى العالم كله الدكتور محمد حميد الله . وقدم له وراجعه الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهو ليس جديداً فى باب تحقيق التراث العربى ومراجعته ، فله مشاركات كثيرة جيدة فى هذا الباب ، وله فوق ذلك كتاب جيد فى (قواعد تحقيق النصوص) كان فى الأصل فصلة من مجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية .

والنسخة اليتيمة فى العالم كله من هذا المخطوط توجد فى مكتبة بلدة (أفيون قره حصار) التركية ، ويبدو — كما استظهر الدكتور محمد حميد الله محقق الكتاب — أن الكتاب الأصلى للقاضى الرشيد بن الزبير ، وأن النسخة الخطية هى منتخبات من الكتاب الأصلى قام بانتخابها (الشيخ شهاب الدين أحمد عبدالله بن

حسن الأوحدى المقرىء الشافعى) . والمقرىء هنا اسم فاعل من الإقراء ، والقراءة ، بهمزة على الياء المتطرفة ، وليست (المقرى) بياء النسب ، كما جاء وهما فى المقدمة التى كتبها الدكتور سامى الدهان لكتاب (التحف والهدايا) للخالديين ، الذى قام بتحقيقه و نشره وإصداره عن دار المعارف بمصر ، قبل أن يصدر كتاب (الذخائر والتحف) الذى نحن بصدد الحديث عنه .

وبهذه المناسبة نرى لزاماً علينا أن نصحح وهماً آخر قام به الدكتور سامى الدهان فى مقدمته لكتاب (التحف والهدايا) فقد ذكر فى صفحة ١٨ من المقدمة أن « شهاب الدين أحمد المقرىء الشافعى » هو من رجال القرن الخامس . ولا ندرى ما الذى ساق الدكتور سامى الدهان إلى هذا الوهم ونحن نعلم جميعاً أن شهاب الدين أحمد المقرىء — المشهور بالأوحدى — هو من رجال القرن التاسع الهجرى ، وأنه اشتهر بالأدب والتاريخ ؛ ويذكر السخاوى فى « الضوء اللامع » أن الأوحدى هذا كان لهجاً بالتاريخ ، وأنه كتب كتابا كبيراً فى خطط القاهرة ومصر ، أخذه المقريزى المؤرخ ونسبه لنفسه مع زيادات عليه .

وأغلب الظن أن الدكتور سامى الدهان خلط بين العصر الذى عاش فيه الأوحدى صاحب منتخب (الذخائر والتحف) ، وبين العصر الذى قد يكون عاش فيه القاضى الرشيد بن الزبير صاحب (الذخائر والتحف) والمؤلف الأصلى للكتاب . على أن الدكتور محمد حميد الله قد استظهر باجتهاده وملاحظه القوية أن القاضى الرشيد بن الزبير هو من رجال القرن الخامس الهجرى بدلالات كثيرة منها أنه يقول فى كتابه : (أخبرنى خطير الملك . . . عند وروده إلى تنيس من الشام فى ذى القعدة سنة ٤٦٢ هـ . . .) . ومنها أنه يقول فى موضع آخر من الكتاب : (وحدثنى أبو الفضل إبراهيم بن على الكفرطابى بدمياط عند قدومه من قسطنطينية فى شهور سنة ٤٦٣ هـ . . .)

واستظهارات الدكتور محمد حميد الله فيما يتصل بالعصر الذى عاش فيه مؤلف (الذخائر والتحف) جيدة صحيحة . إلا أنه حين لجأ إلى استظهار شخصية القاضى الرشيد بن الزبير قد أسرف فى الاستنتاج إسرافاً لا يحتمله النص ، ولا القرائن التى جاء بها لتأييد استظهاره . فإنه حين رأى أن مؤلف الذخائر

يخلع الألقاب الفخمة على السلطان « أبى كاليجار البويهى » استنتج أن المؤلف كان فى أول الأمر فى خدمة أبى كاليجار ؛ ثم أمعن فى الاستنتاج — بغير مسوغ ولاقرينة — فذكر أنه لما انهدم بنيان الدولة البويهية ومات أبو كاليجار، هاجر المؤلف القاضى الرشيد بن الزبير فتوطن مصر ، وتوظف عند الفاطميين ثم أمعن محققنا الفاضل فى الاستنتاج فتوهم أسباباً لمغادرة الرشيد بن الزبير مسقط رأسه فى العراق الفارسى ؛ وهى أنه كان شيعياً فلم يرد أو لم يتمكن من البقاء فى الدولة السلجوقية السُنية .

والحق أن الدكتور محمد حميد الله على حق حينما ينغلق عليه الاسم الصحيح لصاحب كتاب الذخائر والتحف . ومن هنا مهد لذكر اسم المؤلف بقوله على هذه الصيغة : (ولعل الاسم الذى يمكن أن نسمى به هذا الكتاب هو « المنتخبات من كتاب الذخائر والتحف » للقاضى الرشيد أبى الحسن أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير . . .)

على أن اسم «الرشيد بن الزبير» قد كان يمكن أن يسوقنا إلى (أحمد بن الرشيد ابن الزبير) الأسوانى الأديب الشاعر المصرى الذى كان مقربا من الخليفة الحافظ الفاطمى ، وتولى نظر الدواوين فى الإسكندرية ، لولا أنه توفى سنة ٥٦٣ هـ فى القرن السادس . والتواريخ التى جاءت فى سياق أخبار الكتاب عن الهدايا والتحف تدل على أن مؤلفه قد شاهد الحوادث حوالى سنة ٤٦٣ هـ ولا يمكن أن يمتد به العمر إلى سنة ٥٦٣ هـ حتى نسوغ لأنفسنا القول إنه هو بعينه أحمد بن الرشيد بن الزبير الأسوانى الذى ترجم له الأدفوى فى (الطالع السعيد) .

وعلى كل حال فقد يكون الرشيد بن الزبير مؤلف كتاب (الذخائر والتحف) والداً للقاضى الرشيد بن الزبير ناظر الدواوين فى الإسكندرية . ومن هنا يجوز — من ناحية الزمن والتاريخ — أن يروى أخباراً شهدها بعينيه وقعت حتى سنة ٤٦٣ هـ . . . ولكننا نظل — على كل حال — جاهلين حقيقة هذا الوالد الذى لم يرد له ذكر فيما بين أيدينا من كتب التراجم والرجال .

وعجيب جداً أن يروى الغزولى صاحب كتاب « مطالع البدور » ، ويروى المقريزى فى خططه عن كتاب « الذخائر والتحف » ، وأن يذكر الغزولى اسم

القاضي الرشيد بن الزبير مقارنا لكتابه : « الذخائر والتحف » ، ثم لا ندرى شيئا عن ابن الزبير هذا ، ولا نعرف من أمره قليلا يشفى الغليل . كأنما شاء الله أن يحجبه عنا حتى تذهب الظنون فيه مذاهب ، ونتحير فى أمره خابطين بين وجوده فى العراق أو مصر ، وأن يصدر له كتاب محقق جيد التحقيق فلا يزيدنا علما بأمره . . .

وقد تكررت بعض الأخبار فى كتاب (الذخائر والتحف) بما لا ندرى معه إن كان ذلك من المؤلف أم من الناسخ . على أن التكرار لم يكن مصاحبا لأمانة النقل فى النص المكرر . ففى الفقرة العشرين صفحة ١٧ جاءت حكاية الهدية التى بعث بها محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس إلى الخيزران . ثم جاءت فى الفقرة التاسعة بعد الثلاثمائة ، صفحة ٢٢٢ وفيها نقص فى الشعر وفى الخبر . فالشعر فى الرواية الأولى يأتى هكذا :

إن المئين التى بعثت بها صارت شفيعا فى قطع ما تصلُ
لايدفع الأمر من خصصت بها فيك ولاتستطيع ما تسَلُ
فاعرف لأهل المعروف قدر هُمُ واشكر لأهل البلاء ما فعلوا

ولكنه فى الرواية الثانية يأتى منه البيتان الأولان لا غير ويحذف البيت الثالث . على أن المقابلة بين رواية خبر فى كتاب ، وبين رواية الخبر فى كتاب آخر تكشف لنا عن وجوه الخلاف فى الروايات حتى فى الأحداث والوقائع والأشخاص . فقد وقعت روايات وأخبار مشتركة فى كتاب (الذخائر والتحف) للرشيد بن الزبير ، وكتاب (التحف والهدايا) للخالديين . ولكن وقع بينهما من الخلاف ما يصح أن يشار إليه . وقد أحسن الدكتور محمد حميد الله حين أشار فى بعض الهوامش إلى هذه الخلافات . فقد جاء فى الفقرة التاسعة عشرة من « الذخائر والتحف » الحكاية التالية : (وكتب أبو جعفر المنصور بالله إلى معن ابن زائدة حين كان ولاه اليمن فى سنة اثنتين وأربعين ومائة يستهديه عطرا . فوجه إليه مائة جراب خطرا ، فى كل جراب كيس فيه ألف دينار وكتب إليه : « يا أمير المؤمنين : تقدم بحفظ نُخالة هذا الخطْر » فلما وصل إلى المنصور ، ووقف على ما فى الجراب قال :

وكنا إذا عزّ الخضاب بأرضنا بعثنا إلى مَعْن فأهدى لنا خِطْرا
وأهدى دنانيرا وأهدى دراهماً وأهدى لنا بزًّا، وأهدى لنا عطرا
وما الناس إلا سيدان، فواحد قريش، وشيبانُ التي قرَعَتْ بكرا

وقد جاءت هذه الحكاية فى كتاب « التحف والهدايا » للخالديين هكذا : (واستهدى بعض الشعراء من صديق له يكنى أبا العباس خِطْرا . فلم يُسعفه بما طلب . فكتب إلى معن بن زائدة وهو يتقلد بلاد اليمن يطلب منه ذلك . فأنفذ إليه جراب خِطْر وفيه ألفُ دينار ، وكتب إليه أن اختضب بالخِطْر ، وانتفع بنخالته ، فقال :

إذا ما أبو العباس ضنّ بخِطره كتبنا إلى معن فأهدى لنا خطرا
وأهدى دنانيرا ، وأهدى دراهما وأهدى لنا بَزًّا ، وأهدى لنا عطرا

فبلغ البيتان « معْنا » ، فوجه إليه ألف دينار ثانية ، وألف درهم ، وسفط بز وعتيدة عطر) والخبر كما جاء عند الخالديّين أليقُ وأكرم ، فمهما بلغ الأمر بخليفة فلن يكتب إلى أحد عماله يستهديه عطرا وخِطرا ... ثم يصرح الخليفة بعد ذلك أن عامله — أو واليه على اليمن — أهدى إليه دراهم ودنانير . . . . فنسبةُ الخبر إلى الخليفة المنصور العباسى مسألة يَشُكُّ فيها القارئ ، ويتوقف عندها الممحّص ، مهما علّق القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه بقوله : (فما سُمع بخليفة امتدح أحدا غير المنصور . . .) .

ولا شك أن للمقابلة بين أخبار التحف والهدايا فى كتابين أو أكثر تكشف عن مسائل تستوقف النظر ، ففى الفقرة ٢٩ ص ٢١ من كتاب القاضى الرشيد بن الزبير أن دهمى — بالدال — ملك الهند كتب إلى عبد الله المأمون الخليفة العباسى كتابا مع هدية بعث بها إليه . والحكاية مذكورة فى كتاب « التحف والهدايا » للخالديّيْن ، ولكن اسم ملك الهند جاء هكذا (رهمى) بالراء لا بالدال . وكنا نتوقع من الدكتور محمد حميد الله — وهو خبير ببلاد الهند وباكستان — أن يحقق لنا اسم دهمى أو رهمى ، ولكنه جرى على أن اسمه (دهمى) بالدال ، واعتذر من أنه لم يتحقق له إلى الآن مسمّاه ، ثم اكتفى

بالرجوع إلى معلومات أمده بها المرحوم « أحمد ميان اختر جونا كرهى » ، الأستاذ بجامعة السند ، والدكتور محمد يوسف أستاذ العربية فى جامعة كولمبو بسيلان ، وكنت أوثر أن يقول عنها الدكتور محمد حميد الله إنها جزيرة (سرنديب) كما جاءت فى كتب الأقاليم والبلدان العربية ، وكما استعملهـا شاعرنا محمود سامى البارودى فى قصائده حينما كان يعانى مرارة النفى فى جزيرة سرنديب .

ومن المقابلات الطريفة بين أخبار الهدايا والتحف فى كتابى الرشيد بن الزبير والخالديَّيْن ما جاء فى حكاية الحمير التى أهداها أبو دُلفٍ العجلىُّ محملةً بالزعفران إلى الخليفة المأمون العباسى ، فقد جاءت فى رواية القاضى الرشيد ابن الزبير هكذا : (فجاءت الهدية والمأمون عند الحُرم — أى مكان الحريم — فقيل له قد وجَّهَ القاسم بن عيسى مائة حمل زعفران على مائة حمار . فأحب المأمون أن ينظر إليها على حالها . وكره أن يكون من الحمير شىءٌ لا يصلح للنساء أن ينظرن إليه ! فسأل سؤال مستثبت عن الحُمُر : أهى أُتنٌ أم ذكور ؟ فقيل : أتن وحشية مُربَّاه ، وليس فيها ذَكَر . فسُرَّ بذلك ! وقال : قد علمتُ أن الرجل أعقل من أن يوجه بها غيرَ أُتُن !) ولكن الرواية جاءت عند الخالديَّين هكذا : (فأحب المأمون أن ينظر إليها على حالها ، وكره أن يكون من الحمير شىء لا يصلح للنساء) ولكن تكملة الفعل « لا يصلح » عند الرشيد ابن الزبير أتم المعنى المقصود وأكثر توضيحا له . ومن هنا كانت رواية « الذخائر والتحف » أصح وأضبط .

وتكشف لنا المقابلات بين رواية الرشيد بن الزبير ، ورواية الخالدين فى كتاب كل من الفريقين ، عن خلاف فى الأسماء ، وما أكثر خلاف الأسماء فى كتبنا العربية ! ففى الفقرة ٣٣ من كتاب « الذخائر والتحف » جاء اسم جارية الخليفة المتوكل هكذا : شجر . وجاءت الحكاية فى « التحف والهدايا » للخالدين واسم الجارية فيها : شجن ، بالنون . ولم يدع الدكتور محمد حميد الله المسألة تمر بدون تعليق ، فكتب فى الهامش ما يلى : (سماها النزولى « مطالع البدور ٢ — ١٣٦ » شجرة الدر ، وذكر القصة أيضا الخالديان « التحف والهدايا ، الباب الخامس » وسمى الجارية شجن) .

ومن الحكايات المشتركة بين « الذخائر والتحف » للقاضي الرشيد ، و « التحف والهدايا » للخالديين حكاية الملكة « برتا بنت الأوتاري » ملكة الفرنجة وما والاها مع الخليفة المكتفي بالله العباسي المتوفى سنة ٢٩٥ هـ . فلقد حقق اسم هذه الملكة وشخصيتها كل من الدكتور محمد حميد الله في الذخائر ، والدكتور سامي الدهان في التحف . ورجع كل منهما إلى مصادره وإلى أولى الرأى في تاريخ العصور الوسطى يستشيرهم . والاسم الصحيح لهذه الملكة : برتا . فلا هو ثريا ، ولا هو ترنا كما جاء في بعض النسخ . والدكتور محمد حميد الله مشكور أجزل الشكر على تعبه وجهده في تحقيق اسم هذه الملكة الفرنجية وشخصيتها . ولكنه في تعليقه على اسم (زيادة الله بن الأغلب) الذى جاء في خلال الحكاية صححه في الهامش بقوله : (الصحيح أنه إبراهيم بن الأغلب) وفي هذا الكلام نظر ، فإن النص في متن الكتاب صحيح . لأن زيادة الله ابن الأغلب تولى إمارة دولة الأغالبة في أفريقية من سنة ٢٩٠ هـ إلى سنة ٢٩٦ هـ كما جاء في « معجم الأنساب » لزانبور ، وسنة ٢٩٣ هـ التي وقعت فيها الحكاية داخلة في هذه المدة ، أى مدة حكم زيادة الله . أما إبراهيم بن الأغلب فقد تولى الحكم قبل سنة ٢٩٠ هـ ، فليس من المعقول أن تكون الحكاية قد وقعت في مدة حكمه .

على أن هذه الزلة مغفورة بجانب الحسنات الكثيرة التي أبداها الدكتور محمد حميد الله في التحقيق . ففي الحكاية — أو الفقرة — ٨٥ ص ٧٦ التي تنسب إلى ميخائيل ملك الروم أنه أهدى إلى المستنصر بالله في وزارة الحسن ابن عبد الرحمن اليازوري هدية عن طريق البحر إلى تنيس ، لم يقبل المحقق هذا الخبر ، وصححه وعلق عليه في الهامش بما يفيد أن الهدية إذا كانت سنة ٤٤٤ هـ كما في النص ، فإن وزارة اليازوري من سنة ٤٤٢ هـ إلى ٤٥٠ للهجرة كما ذكره الدكتور عبد المنعم ماجد في كتابه « نظم الفاطميين ورسومهم ». والسنة ٤٤٤ هـ تطابق سنة ١٠٥٢ للميلاد ، ولم يكن حينئذ ميخائيل ملك الروم ، وإنما كان ملكهم هو قسطنطين التاسع الذى تولى الملك ما بين سنتي ١٠٤٢ ، ١٠٥٥ ميلادية

وفي الحكاية — أو الفقرة ٧٤ — يجيء النص هكذا : قال أبو العباس

الطوسى : كان القادر بالله أنفذنى إلى غزنة . فى رسالة إلى محمود بن سبكتكين لإقامة دعوة ولى العهد الغالب بالله . . .) فيعلق المحقق الدكتور محمد حميد الله فى الهامش بقوله : (كذا . والذى بويع لولاية عهد القادر هو القائم بأمر الله سنة ٤٢١ هـ) . وواضح أنه لم يتول خلافة بنى العباس من لقبه الغالب بالله .

والحق أن الدكتور محمد حميد الله قد بذل فى تحقيق كتاب « الذخائر والتحف » جهداً مشكوراً ، وسعياً محموداً . ورجع إلى كتب أخرى فى الهدايا وغيرها يقابل بينها وبين ماجاء فى النسخة الفريدة التى حققها ونشرها . ولكنا كنا نرجو منه أن يشرح لقارىء الكتاب كثيراً من الألفاظ والاصطلاحات التى يقف القارىء أمامها عاجزاً عن الاهتداء إلى مراميها ، مالم يسعفه كتاب محقق بما هو فى حاجة إليه . ليس قارىء كتاب « الذخائر والتحف » مطالباً أن يرجع إلى كتاب آخر — لا إلى معجم من المعاجم — ليشرح له الألفاظ الاصطلاحية التى جاءت فى الذخائر . وما أكثر هذه الألفاظ التى تعد بعشرات العشرات ! فقد تركها المحقق غريبة أمام قارىء النص لايدرى لهامعنى. ومن هذه الألفاظ : شاذ كلاه ص ١٢٢. والسّقلاطون ص ٤٥ . ومائة قطعة أتوار فضة بشمع موكبى ص ٧٩ . وأربعمائة « بلية » عليهن أنواع الثياب . ص ١١٥ . وبين أيديهن ألف نبيحة خيازر ، ص ١١٥ . والغلمان والشاكرية ص ١١٦ . وعشرون حبة ختو ص ٥٩ . وخرداذى فيروزج . ص ٢٦٩ . بين يدى كل حاجب ألف غلام بخفاتين ديباج . ص ١٤٥ .

وإذا كان الدكتور محمد حميد الله قد شرح للقارىء — فى معجم الألفاظ لا فى متن الكتاب — بعض الألفاظ الاصطلاحية ، فلماذا لم يتم صنيعه بشرح الألفاظ كلها وهى غريبة على من لا عهد له بالمصطلحات وما أكثرهم ؟؟

لقد تفضل المحقق فشرح لنا معانى : درمون ، بأنها مركب بحرى من اليونانية . ودواج ، وجمعها دواويج بمعنى لحاف ، وألحفة . وزبزب بمعنى سفينة . وسلاء بمعنى السمن المطبوخ . وشلندى بمعنى مركب بحرى . وصير بمعنى السمك المملوح . وطميم بمعنى ثياب . وغضار صينى بمعنى صحفة الطعام . وفرفر بمعنى ثوب . وقنقل بمعنى تاج كسرى ، فلماذا لم يشرح لنا معانى عشرات من الكلمات

وجدنا لها شروحا فى كتاب (الديارات) لأبى الحسن الشابشتى الذى تفضل بتحقيقه تحقيقاً جيداً ، وشرحه شرحاً كاملا الأستاذ العلامة كوركيس عواد العضو بالمجمع العلمى العراقى فى بغداد ؟

إن الألفاظ الاصطلاحية التى وردت فى كتاب (الذخائر والتحف) كثيرة غير قليلة ، ولن يجدها القارىء فى المعاجم العربية الواسعة من أمثال الجمهرة ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب . وقد يجد بعضها فى « شرح القاموس » للزبيدى ، ولكنه مصدر غير متداول ولا فى متناول أيدى القراء وأخشى أن عدم فهم قارىء الذخائر لهذه المصطلحات قد يصرفه عن فهم النص بجملته . بل قد يصرفه عن النظر فى الكتاب وقراءته ، وهى نتيجة لا أحب ولا أظن الدكتور حميد الله يحب أن ينتهى إليها قارىء الكتاب .

وفى الكتاب مواطن أخرى كانت تحتاج إلى التحقيق الدقيق والتعريف بها نذكر منها على سبيل المثال :

- (والنخاخ الجرمية) ص ١٣٤ . علق عليها المحقق فى الهامش بقوله : (كذا) . والذى أعلمه أنها الجهرمية . نسبة إلى جهرم ، بلد بفارس تنسب إليها ثياب كالبسط . انظر القاموس المحيط للفيروز ابادى .
- (من كورة دميس) . ص ١٠٢ . وليس فى كور مصر القديمة ما اسمه دميس . ولعلها دمسيس بسينين اثنين . انظر القاموس الجغرافى لمحمد رمزى .
- (وانحدر إلى بلد اليحموم) ص ١٠٢ . واليحموم اسم فرس ، وليس هو المراد هنا . والمقصود بلدة (البجوم) . وهى بالقرب من أدكو ، وقدتهايلت عليها الرمال . وذكرها القلقشندى فى صبح الأعشى جـ ٣ — انظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، لمحمد رمزى .
- (وأهدى حسان القبطى إلى هشام بن عبد الملك كُساً وعطراً . . .) ص ١٥ . فمن حسان القبطى هذا ؟ وأى قدر ساق هذا القبطى إلى بلاط هشام ؟ لعل فى الاسم تحريفا .

● (وكان مما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة لمطر ، إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب وقصب الفضة والذهب والبنود) ص ٢٥١ ؛ وفى ص ٢٥٢ هذا النص : (مع ما فيها من قصب القصة وثيابها المذهبات وغيرها) فما هو قصب الفضة أولا ، وقصب القصة ثانيا ؟ ألا يكون هذا من تحريف الطبع ، وصوابها قصب الفضة فى الموضعين ؟

● (فقال ذو الرياستين الفضل بن سهل بن الصولت) ص ١٨٣ . ولم أهتد إلى إلى ابن الصولت هذا ، فلعل المحقق الفاضل يدلنا عليه . فقد بحثت فى سيرة الفضل بن سهل وأسرته فى كثير من المراجع ، فلم أجد (ابن الصولت) فى أسماء آبائه .

● (وأهدى القائد أبو الحسين جوهر إلى المعز لدين الله . . .) ص ٦٧ . أقول جوهر القائد هذا هو جوهر الصقلى الذى كان على رأس الجيش القادم لفتح مصر ، والصواب أن كنيته أبو الحسن لا أبو الحسين ، وأظنه من تحريف الطبع . انظر ابن خلكان ، والأعلام للزركلى .

هذه بعض ملاحظ على كتاب (الذخائر والتحف) وهى على ما يضاف إليها مما لم أذكره — لا تنقص من قيمة الجهد الكبير الذى بذله الدكتور محمد حميد الله لإخراجه وتحقيقه على خير الوجوه ، وأقربها إلى الأصل الذى كتبه المؤلف ، ولكنه — مع الأسف — وصل إلينا محرفا فى نسخته الفريدة على يد النساخين والوراقين . . . .

ديوان عمرو بن قميئة

تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي

نقد وتعليق الأستاذ عامر محمد بحيري

صدر المجلّد الحادي عشر ، من مجلة معهد المخطوطات العربية ، مشتملاً على تحقيق علميٍّ دقيق لشعر عمرو بن قميئة ، الشاعر الجاهليّ القديم ، صاحب الأعوام التسعين ، ورفيق امرئ القيس على الدَّرْبَيْن .. درب الشعر العربيّ القويم ، ديوان العرب ، وحجتهم في بلاغة القول ، وامتلاك ناصية البيان .. والدرب إلى بلاد الروم ، لملاقاة قيصر — إن صحت هذه القصة — وهي الرحلة التي مات فيها امرؤ القيس بأنقرة ، في طريق عودته ، وقال فيها من آخر ما قال :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَهُ ... وأيقنَ أنَّا لاحقانِ بقيصرا

فقلتُ له : لا تبكِ عينُكَ .. إنما ... نحاول ملكاً ، أو نموت فنُعذرا

وكان صاحب امرئ القيس ، المعنيُّ بهذه الإشارة ، هو شاعرنا ، عمرو ابن قميئة ! الذي أصدر له المعهد ، هذه المجموعة المحققة من شعره .

وإذا كان الشاعران قد اصطحبا في هذه الرحلة — فيما تقول القصة — ، كما تعاصرا بالطبع ، فحمل كلٌّ منهما نصيباً من رسالة الشعر ، ونَشْرِ لوائه عَلَماً للأجيال التالية .. فإنهما مع ذلك قد اختلفا في حظّهما من الشهرة ، وذيوع الصيت .

أصبح امرؤ القيس « أميراً للشعراء » .. في العهد القديم .

ونُسي شعر عمرو بن قميئة .. حتى سُمِّي : « عَمْراً الضائع » !

* * *

والذي قام بهذا التحقيق ، والشرح ، والتعليق ، هو صديقنا العالمُ المحقِّق .

والشاعر اللغوىُّ المدقق ، الأستاذ حسن كامل الصَّيرَفى .. وهو ليس بحاجة منّا إلى تقديم ، فتحقيقاته السابقةُ معلومةَ ومقروءة .. أما الذى هو بحاجة منا إلى التقديم ، فهو هذا الديوان الذى قام بتحقيقه اليوم .

ولقد عرف الصيرفىّ ، دون محقّقى التراث العربى ، بمنهج شاقّ ، يلتزمه فى تحقيقه .. وسنرى فيما بين أيدينا من تحقيقه لشعر عمرو بن قميئة ، مثلاً رائعاً .. على هذا المنهج العلمى الشاق ، والقدرة على التزام حرفيته .

* * *

وشعر عمرو بن قميئة .. ضائع .. كما قلت !

وهذه المخطوطة .. التى نقرؤها محققة اليوم .. لا تشتمل على كلّ شعره .. ولا على نصفه ، ولا على ثلثه .. بل على « طائفة » قليلة منه !

يكفى أنها تشتمل على ست عشرةَ قصيدة ، لشاعر عاش أكثر من تسعين سنة !

ويكفى أن أطول قصيدة فى المخطوطة ، يبلغ عدد أبياتها اثنين وثلاثين بيتاً .. فقط ، وهى القصيدة اليائية ، التى يقول فى مطلعها :

غشيتُ منازلاً من آلِ هندٍ   قفاراً بُدِّلَتْ بَعْدِى دُهِيَّا

يعقبها فى الطول ، قصيدتان .. إحداهما تبلغ أبياتها تسعةً وعشرين بيتاً . والأخرى ثمانية وعشرين .. وكلاهما من بحر واحد ، وعلى روىٍّ واحد .. مطلع الأولى :

نأتك أُمامةُ .. إلا سؤالا   وأعقبكَ الهجر منها الوصالا

ومطلع الأخرى ، يشترك مع مطلع الأولى ، فى صدره .. وهو :

نأتك أمامة .. إلا سؤالا   وإلا خيالاً .. يوافى خَيالا(١)

---

(١) اكتشف المحقق أن الحطيئة أخذ هاتين القصيدتين لعمرو بن قميئة ، فى ألفاظهما ومعانيهما وقافيتهما وبحرهما . وتعقب ذلك الأخذ فى حواشى الديوان بالمقابلة بين أبيات الشاعرين ، وذكر أن أحداً ممن شرحوا ديوان الحطيئة أو تكلموا عنه لم يتنبه لذلك .. ومطلع قصيدة الحطيئة وهى فى مدح الخليفة عمر بن الخطاب قوله : =

وهناك قصيدة أخرى يبلغ عدد أبياتها ثمانية وعشرين بيتاً أيضاً .. وهى الحائية التى يقول فى مطلعها :

أرى جارنى خَفَّت وخَفَّ نصيحُها   وَحُبٌّ بها ، لولا النَّوى وطموحُها

وتتفاوت القصائد بعد ذلك فى عدد أبياتها تفاوتاً تنازليًّا ، حتى نجد فى النهاية قطعة من بيتين .. هما اللذان قالهما الشاعر ، عندما طلب إليه امرؤ القيس أن يصحبه فى رحلته الأخيرة ، التى أشرنا إليها ، وكان شيخاً مُسنًّا .. وهذان البيتان هما :

شكوتُ إليهِ أننى ذو جلالةٍ   وأنى كبيرٌ ذو عيالٍ مُجَنَّبُ

فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً   إذا سرَّكم لحمٌ من الوحش فاركبوا

فإذا جمعنا كلَّ أبيات المخطوطة — وقد يسَّر علينا المحقق ذلك بفهرس القصائد ، وقد ذكر فيه صدر البيت من كل قصيدة ، وقافيتها ، وبحرها ، ورقمها من المخطوطة ، وعدد أبياتها ، وصفحتها — لوجدنا أن مجموع الأبيات الواردة فى متن الديوان هو مائتان وأربعة وعشرين بيتاً .

ولابدّ لكمال التحقيق من تتبُّع ما للشاعر من قصائد أو مقطوعات أو أبيات مفردة ، فى مظانّها المختلفة ، بخلاف ما هو وارد فى المخطوطة .. حتى يمكن أن تقترب إلى حدّ الكمال المستطاع .. وهذا ما فعله الأستاذ المحقّق ، فأضاف إلى مجموعته الواردة بالمخطُوطة مجموعة أخرى ، تتكوّن من خمس عشرة قطعة .. أطولها قطعتان تبلغ كل منهما أربعة أبيات .. ومطلع الأولى :

ليس طعمى طعمَ الأرانبِ إذا قلّـ   ـص درُّ اللّقاح فى الصِّنَّبْر

ومطلع الأخرى :

قد كان من غَسَّانَ قبلَكَ أمْـ   لاكٌ ، ومن نصرٍ ، ذوو نِعَمِ

= نأتك أمامةُ .. إلا سؤالا   وأبصرتَ منها بغيبٍ خيالا ..

ولكن المحقق لم يتعقب ابن قتيبة نفسه ، ليقول لنا لماذا استعمل هو صدر البيت فى قصيدتين مختلفين !

ثم مقطوعتان كل منهما ثلاثة أبيات ، وثلاث مقطوعات كلٌّ منها بيتان .. والباقية وعددها سبعٌ ، إنما هى بيتٌ واحد لكل منها .

وكل هذه المقطوعات شواهد خرّجها من حماسة البحترى ، والأيام والليالى والشهور للفرّاء ، وأساس البلاغة للزمخشرى ، والكتاب لسيبويه ، والحيوان للجاحظ ، والبيان والتبيين له أيضا ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقى ، وزهر الآداب للحصرى ، واللسان لابن منظور ، وتفسير الطبرى ، والمعانى الكبير لابن قتيبة ، ومجمع البيان فى تفسير القرآن ، للطَّبَرْسِىّ .. كما أوردها تباعاً على هذا الترتيب .

ومجموع أبيات هذه المقطوعات المنسوبة إلى عمرو بن قميئة فى المراجع المذكورة هو تسعة وعشرون بيتا .. إذا أضيفت لأبيات المخطوطة ، السابقِ ذكرُها ، كان مجموع الأبيات التى قدّمها المحقق فى مجموعته لعمرو بن قميئة هو مائتين وثلاثة وخمسين بيتا .

* * *

نصل بعد ذلك إلى المنهج الذى اتّبعه المحقق فى تحقيقه .

وإذا نظرنا فى هذا المنهج ، وجدناه يشتمل فى أساسه على أقسام رئيسية . أولها بطبيعة الحال هو التحقيق نفسه ، من تقويم للنصّ وتخريج للأبيات وشرح لألفاظها اللغوية ، وتتبع لما تحمله من المعانى والأغراض .

وثانيها هو هذه المقدمة الدارسة الشاملة ، التى تدلُّ على ما للمحقق من إحاطة بموضوعه ، وقدرة على مناقشة من سبقه من المحققين ، فيما أوردوه من آراء خالفهم فيها ، أو أثبتوه من نصوص رأى أنها بحاجة إلى مزيد من تقويم وتصحيح .

وآخرها هو هذه الفهارس العامة ، التى تعدُّ مُعاوِناتٍ للقارئ ، والتى توسع فيها المحقق ، وابتكر منها جديداً ، حتى بلغ عددها ستة عشر فهرسا .. وحتى بلغت فى حَجْمها قريبا من نصف حجم الكتاب كلّه .. وعلى التحقيق فقد بلغت صفحات الفهارس مثل صفحات المتن ، كلاهما يربى قليلاً على المائتين .. أما صفحات المقدمة فقد بلغت وحدها ثلاثاً وخمسين صفحة .

يستعرض المحقق فى مقدمته حياة الشاعر ، وشعره ، والعمل الذى قام به ، وما صادفه فيه من عقبات ، وما وجد لها من حلول .

ولكى يحدثنا عن حياة الشاعر ، فقد كان من الواجب أن يوسع لنا دائرة بحثه ، حتى نرى صاحب هذه الشخصية ، فرداً مميّزاً ، وسط البيئة التى عاش فيها . . ومن هنا رأينا المحقق ، وهو يحوم حول الشاعر ، يقف أولا عند أسرته .

وفى الحديث عن الأسرة ، يقف بنا عند البيت الكبير . بيت ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة . . وإليه تنسب قبيلة الشاعر ، فيقال عمرو بن قميئة الضُّبَعى .

وينتهى نسب ضُبيعة إلى بكر بن وائل .. أبى تلك القبيلة الكبيرة التى ينتهى نسبها بدوره إلى ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان .

ويحصى لنا المحقق من هذه الأسر أحدة عشر شاعراً ، هم : سعد بن مالك ابن ضُبيعة جدّ الشاعر .. وعمرو (ويقال عوف أو ربيعة) بن سعد بن مالك ، وهو عمّه ، ويعرف بالمرقش الأكبر . . وربيعة بن سفيان بن سعد ، ابن عم الشاعر ، وهو المرقِّش الأصغر .. وعمرو بن مَرْثَد بن سعد ، ابن عمه أيضا .. وبشر بن عمرو بن مَرْثَد بن مالك ، عم أبيه . . وطرفة بن العبد بن سفيان ابن سعد ، (صاحب المعلقة) ، وأبوه ابن عم الشاعر . . ثم ربيعة بن ضُبيعة .. والحارث بن عُباد بن ضبيعة . . والخِرْنِق بنت بدر بن هفَّان أخت طرفة(١). والأعشى ميمون بن قيس ، الذى ينتهى نسبه إلى سعد بن ضُبيعة . . والأعلم ، عمرو بن مالك بن ضُبيعة .

وهذا الإحصاء وحده يكفى لنعرف أىّ وسط شعرىّ نشأ فيه شاعرنا . . فإذا علمنا أن هذا البيتَ فى مجموعِه ينتهى نسبه إلى ربيعة بن نزار ، وأن الشعر فى ربيعة ، عرفنا قيمة هؤلاء الشعراء الروّاد ، كما عرفنا قيمة شاعرنا الرائد من بينهم أيضا .

---

(١) إذا كانت الخرنق بنت بدر أختاً لطرفة ، فلا ريب أنها أخته لأمه ، وهو ما لم يشر إليه المحقق ، إلا أنه قال بعد ذلك : « ويقال إنها بنت سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة » . وفى هذه الحالة تكون عمته لا أخته .

ويخشى المحقق ان يشتبه علينا لقب « ابن قميئة » . . فنقع فى الخطأ الذى وقع فيه كثيرون قبلنا ، فحسبوا بعض من حمل هذا اللقب هو شاعرنا ، وليس به . . فنهم عمرو بن قميئة الصغير ، فى عبد القيس . . ومنهم جميل بن عبد الله ابن قميئة ، وهو جميل بن عبد الله بن معمر ، صاحب بُثينة ، ويقول المحقق إنه « كان يقال له ابن قميئة ، وهى أم جدّه معمر » . . ثم ربيعة بن قميئة الصَّعْبي ، أحد بنى صعب بن تيم بن أنمار . وقد حرّفت كلمة الصّعبى إلى الضُّبَعى ، خطأ . . بل ان هناك رجلا آخر إسمه ابن قميئة الليثىّ ، هو الذى جرح وجنة الرسول الكريم فى أحد ، وورد اسمه فى الروض الأُنُف للسُّهيلى « عبد الله ابن قميئة » ومع ذلك فقد أخطأ الزبيدى صاحب « تاج العروس » حين وهم أنه شاعرنا عمرو بن قميئة ، الذى مات قبل مولد الرسول بسنواتٍ عديدة !

وبعد هذه الجولة ، ينتقل بنا المحقق إلى الشاعر نفسه . فيحقق اسم أبيه ، وهو قميئة بن سيد بن مالك . الذى أوردته بعض المراجع باسم قميئة بن ذريح ابن سعد . والمحقق يردُّ فى رفق لفظ ذريح من سلسلة النسب . . ثم نراه يحقق اسم أمه ، الذى لم تذكره المراجع ، فيرجح أنها تنتمى إلى نفس البيت الذى ينتمى إليه أبوه . كما يذكر جدّته لأبيه ، فيقول إنها قِلاَبة بنت الحارث ابن قيس ، من بنى يشكر .

ويذكر بعد ذلك أن عشائر هذه القبيلة الكبيرة كانت تعيش فى تهامة اليمن ، واليمامة ، والبحرين ، حتى أرض الجزيرة عند الفرات ، حيث نُسب إليها هذا الجزء من أرض الجزيرة ، فسُمّىَ « ديار بكر » . .

ثم يقول :

« وكانت قيس بن ثعلبة التى تفرّع منها بيت ضُبيعة تنزل فى اليمامة . وقد مرّ بنا فى ترجمة عمرو بن مالك بن ضُبيعة أنه حين أسر مُهَلهلا التغلبىّ أتى به إلى قومه ، وهم فى نواحى هَجَر ، وهى المعروفة الآن باسم « الأحساء » . .

وهنا يقدم لنا المحقق تحقيقاً جغرافياً ، بالأماكن التى ارتادها الشاعر وأسرته فيقول :

« وكان البكريون في القرن الرابع الميلادي يخرجون من البحرين واليمامة ليغيروا هم وأحلافهم من بني تيم وعبد القيس على مملكة فارس المتاخمة لهم : وكانت قيس بن ثعلبة من أكثرها إغارة ، وأكثرها حروبا مع من يُغير عليها . . »

ولكن لفظ « البحرين » يستوقف المحقق ويستوقفنا كذلك . فهو الاسم الحديث للمنطقة . . فما هو الاسم القديم لها وقتئذ ؟

هنا يذكر المحقق بيتاً لعمرو بن قميئة . يقدم فيه صورة من صور بيئته ، وهو يشبه إبل محبوبته بالسُّفُن ، وهي ترحل مسرعة . . يقول هذا البيت :

هل ترى عِيرَهَا تجيزُ سِراعاً   كالعَدَوْلىّ . . رائحاً من أُوالِ ؟

ولفظ « العدولى » يذكرنا في الحال بقول طرفة في معلقة :

عدوليَّةٌ ، أو من سفين ابن يامنٍ   يجور بها الملاَّحُ طوراً ، ويهتدى

أما لفظ « أوال » . . فهو الجديد . . وفي شرح ذلك يقول محققنا :

« والعَدَوْلِىُّ . . سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها « عَدَوْل » . . وأُوَال بهذه الناحية أسفل من عمـان ، وهي الجزيرة التي تعرف الآن باسم البحرين ، ويحيط بها البحر . وكان اسم البحرين قديماً يطلق على بلادٍ تقع على الساحل ما بين البصرة وعمان ، وقصبتها هَجَر ، المعروفة الآن باسم « الأحساء » . . كما ذكرنا من قبل » . .

« فأُوال » إذا هو الاسم القديم للبحرين في الوقت الحاضر .

و « البحرين » قديماً ، تقع على الساحل ، وعاصمتها هجر القديمة ، هي الأحساء في الوقت الحاضر .

أما تشبيه الإبل في سرعة سيرها بالسُّفُن ، وهي صورة شعرية رائعة . . فذلك ما سنعرض له في حديثنا عن المتن — كما وعدنا — في مجال الحديث عن القصيدة اللاميَّةِ المشار إليها . . وحسبنا هنا أن نذكر ، ونحن في مجال التحقيق الجغرافيّ ، أن هؤلاء العرب الذين كانوا يتخذون الابل « سُفُناً » للصحراء ، كانت لهم كذلك صلة قوية بالبحر . . وكانت صلتهم بهذا البحر من جميع نواحي

شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة فى هذه الناحية الشرقية ، التى يقع فيها « الخليج العربىُّ » . . الذى نكثر من ذكره اليوم ، حين نتحدث عن الوحدة العربية الممتدة من المحيط — وهو الأطلسىّ غربا — إلى الخليج . . وهو هذا الخليج العربىُّ شرقا ، الذى كانت تمخر فيه السفن العربية . . والتى ذكر إحداها عمرو بن قميئة فى هذا البيت ، حين رآها ، تمخر العباب ، رائحة من أُوَال ، أى من البحرين !

* * *

ويخصّص المحقق خمسَ صفحات من مقدّمته ، ليحدد لنا تاريخ ميلاد عمرو ، وتاريخ وفاته . . فيقف عند قصة خروجه مع امرىء القيس إلى قيصر الروم ، وهى الرحلة التى أشرنا إليها ، أول هذا الحديث . والتى مات فيها امرؤ القيس عند عودته بأنقره ، كما هَلَك فيها عمرو بن قميئة أيضاً ، ولذلك سُمّى عَمْراً الضائع . . كما ورد فى الديوان فى مقدمة قصيدته ذات البيتين ، التى أشرنا إليها أيضا . . فقد مرّ امرؤ القيس ببكر بن وائل ، فضرب قبابه ، فقال : أما فيكم من شاعر ؟ فقالوا : بلى ! بَقِىَ لنا شيخ من قيس بن ثعلبة فسألهم أن يأتوه به ، فلما أتاه استنشده ، فأعجبه . فقال له امرؤ القيس . اصحبنى ! ففعل ، فانطلق معه ، فهلك . . ولذا سُمِّىَ . . الخ . .

والبيتان هما قوله :

شكوتُ إليه أننى ذو جَلالَةٍ　　وأنى كبيرٌ ذو عيالٍ مجنَّبُ

فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً　　إذا سرّكم لحمٌ من الوحش فاركبوا . .

وفيهما ما يدل على كبر سنّ الشاعر . . وقد حدّد الشاعر سنّه مرة أخرى فى قصيدةٍ لعلّه قالها بعد هذه ، ولعلّه كان يصف فيها رحلته نفسها ، وقد أحسّ بكبره وعجزه ، طول الرحلة ، ومشقتها . . يقول فى مطلعها :

إنْ أكُ قد أقصرت عن طولِ رحلةٍ　　فيارُبّ أصحابٍ بعثتُ كرامِ . .

ومنها يقول :

كأنى وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً　　خلعتُ بها يوماً عذارَ لجامى

على الراحتين مرةً وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامى

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمى .. وليس برامٍ ؟!

ومن هنا يرى المحقق أن عمراً نيف فى حياته على التسعين ، ولكنه يذكر أنه جاوزها بعام واحد . . ونظراً لأن رحلة امرئ القيس تحددها المصادر التى رجع إليها فيما بين عامى ٥٣٠ — ٥٤٠ ميلادية . . فهو يختار أولهما وهو عام ٥٣٠ تاريخاً لوفاة الشاعر ، التى وقعت مع وفاة امرئ القيس فى وقت واحد . . فاذا اعتبر أن الشاعر عمرّ واحداً وتسعين عاماً ، كان مولده حينئذ فى عام ٤٣٩ ميلادية . وهو يخالف فى ذلك بعض المؤرخين ، فلويس شيخو يحدد ميلاد الشاعر بعام ٤٦٩ ، ووفاته بعام ٥٦٠ . . وجرونباوم يحدد ميلاده بعام ٤٨٠ . وهى تواريخ متأخرة . فاذا أضفنا واحداً وتسعين عاما مثلا — وهى عمر الشاعر — إلى ٤٨٠ كما يقول جرونباوم ، كانت وفاته عام ٥٧١ ميلادية . . وهى السنة التى ولد فيها الرسول الكريم . . وليس ذلك بصحيح . . ولذا نجد أن التاريخ الذى حدّده الصيرفى لميلاد الشاعر ووفاته — وقد بناه على الظنّ أيضاً — هو الأقرب إلى الصواب .

* * *

ويناقش المحقق فى مقدمته قضية أخرى . .

القضية يمكن أن نسميها قضية « الضياع » . . وقد وضع لها المحقق عنواناً هو «حياة الغربة» .. فذكر قصة ابن قميئة مع زوجة عمه مَرثد ، وهربه منه . . فذكر أنه كان فى ذلك الحين فى فتوته ، لم يجاوز العشرين إلا بسنوات قلائل . . واستشهد على ذلك بقصيدته اللامية التى وجهها إلى المنذر الأول ابن النعمان الأول ، التى سمَّى فيها هذا الملك « ابن الشقيقة » . والتى يقول فيها معتذراً إليه :

إلى ابن الشقيقةِ أعملتُها أخافُ العقابَ ، وأرجو النَّوالا

فأهلى فداؤك مستعتباً عتبتَ فصدَّقت فىَّ المقالا

أتاك عدوٌّ ، فصدَّقته فهلاَّ نظرت ـ هُديتَ ـ السؤالا !

فما قلتُ ما نطقــــوا باطلاً ولا كنتُ أرهبُهُ أن يُقالا
فإن كان حقاً كما خَبَّروا فلا وصلت لى يمينُ شمالا
تصـــــدّق علىّ فإنى امرؤ أخاف على غير جرم نـكالا ..

والمحقق يناقش هنا خطأ المستشرق تشارلس لايل — ناشر الطبعة الأوربية للديوان — فى قوله ان استعمال كلمة « ابن الشقيقة » بدلا من اسم « ابن ماء السماء » للمنذر ، يدل على قدم القصيدة . . يقول المحقق :

« أما قوله إن ذكر ابن قميئة لهذا الاسم بدلا من اسم « ابن ماء السماء » يعتبر دليلا قوياً على قدم القصيدة ، فهو خطأ من المستشرق ، لان المنذر ابن ماء السماء تولى الملك فى عام ٥١٤ ميلادية ، وكان الشاعر — وقتذاك — فى الخامسة والسبعين من حياته ، والقصيدة زاخرة بفورة الشباب ، والنظر إلى مباهج الحياة ، مليئة فى مطلعها بالغزل ، على حين كانت قصائده فى فترة الشيخوخة مائلة إلى الحكمة » .

هذا فيما يتصل بلقب « ابن الشقيقة » الذى يرى فيه المستشرق لايل أنه قصد به المنذر الثالث « ابن ماء السماء » ويرى فيه الصيرفى أنه المنذر الأول ، وأن اللقب كان يطلق على التعميم ، على أبناء هذه الأسرة بعد النعمان الأول . .

على أن عمرو بن قميئة كما نرى ، هرب من عمه ، ولجأ إلى الحيرة . . فكم أقام بها ؟ والرواية التى تلى هربه ، هى لقاؤه بامرئ القيس ، وهو فى ديار بكر .. وقد كبرت سنه .. فقصة هربه هى الغربة الأولى .. أما الغربة الثانية ، فهى رحلته إلى بلاد الروم وضياعه . .

ويرى أستاذنا الجليل الدكتور طه حسين ، أن تسمية الشاعر بالضائع ، لا ترجع لتلك الرحلة ، ولكنها ترجع إلى ضياع الشاعر وشعره من الذاكرة ، كما ضاع امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص ، من الذاكرة كذلك . . وضاع شعرهما . .

هاتان هما قصتا الغربة ، اللتان ذكرهما المحقق . .

ونحن نلاحظ فى الأبيات التى ذكرها الصيرفى ، من القصيدة اللامية ، أنها لا تشير إشارة مباشرة إلى قصة هرب ابن قميئة من عمه مرثد .. بقدر ما يشير إلى « قول » بلغ المنذر عن الشاعر ، فوجد عليه .. فهو يلجأ إليه خوفاً من عقابه هو ، لا من عقاب عمه .. كما يرجو نواله أيضاً .. ويقول : « فما قلت ما نطقوا باطلا » .. ولم يقل « ما فعلت » .. ويقول له فى النهاية :

تصدَّق علىَّ فإنىَّ .. آمرؤ أخاف على غير جرمٍ نكالا ..

وفَهْمُنا لهذا البيت يدلُّنا على أنه يطلب العفو ، ويسميه تصدقاً .. ولو كان الموضوع هو قصته مع امرأة عمه ، لكان هذا الالتماس أحقّ بأن يوجه إلى عمه .. كما فعل فى القصيدة الدالية .. يعتذر لهذا العمّ اعتذاراً مباشراً ، واضحاً .. فيقول :

لعمرُكَ ما نفسٌ بجدٍّ رشيدةٍ تؤَامرنى سرًّا لأصرم مَرْثَدَا

وإن ظهرت منه قوارصُ جَمَّةٌ وأفْرَعَ فى لومى مراراً وأصْعَدَا

على غير ذنبٍ أن أكون جنيتُهُ سوى قولِ باغٍ كادَنى فتجهَّدا

فهذه أبيات طبيعية ، فيها هذه الروح الطيبة ، التى كانت ، وما برحت متبادلة بين الشاعر وعمه ، حتى بعد وقوع الحادثة المشار إليها .. وإذا نظرنا إلى الرواية التى ذكرها الصيرفى » لصاحب الأغانى ، وهى قوله : « وأما أبو عمرو [الشيبانى] فإنه قال : لما سمع مرثد بذلك هجر عَمراً ، وأعرض عنه ، ولم يعاتبه لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يعتذر إلى عمه » الخ .. أقول إذا نظرنا لهذه الرواية ، ثم راجعنا أبيات القصيدة الدالية ، لرجحنا أن عَمْراً لم يخرج فراراً من عمه لهذه الحادثة .. وربما خرج لسبب آخر ..

على أننى كما ذكرت فى أول هذا المقال ، ألاحظ أن هذا الشاعر الذى عاش واحداً وتسعين عاماً .. لم تَرْوِ له المخطوطة المحققة من القصائد إلا ست عشرة قصيدة ، بعضها بيتان .. وأضاف إليها المحقق شواهد أكثرها البيتُ الواحد .. فمن المؤكد أن أغلب شعر هذا الشاعر قد ضاع .. كما أن حوادث حياته قد ضاعت

أيضاً من خلال ذلك . . وهذا يفسر ما ذهب إليه الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين ، من أن هذا الضياع ، إنما كان « ضياعاً من الذاكرة » .

على أن المحقق اكتفى بعرض هذا الموضوع عن « حياة الغربة » . . فذكر الغربتين المعروفتين . . ولو نظر إلى الفجوة الزمنية بين قصائد الشاعر فى العشرين وقصائده فى التسعين . . لعرف أن هناك فترة طويلة من حياة الغربة . . ربما كان قد عاد فيها إلى وطنه ، أو رحل عنه عدّة مرات . . ولكنها على أية حال فترة « ضائعة » . .

* * *

وإلى هنا ، أرجو أن ننتقل إلى متن الديوان ، ولما نأتِ على كلّ ما فى المقدمة . . خوفاً من الإطالة . . وسنعود إلى ما قاله فيها عن منهجه الذى اتبعه فى التحقيق فى نهاية هذا الحديث . .

إن المنهج الشاق الذى اتبعه المحقق يظهر لنا لأول وهلة ، حين ننظر فى قصائد الديوان ، وطريقة تخريجها ، وشرحها . .

ففى القصيدة الثانية مثلاً ، ومطلعها :

أرى جارتى خفّت ، وخَفّ نصيحُها   وحُبَّ بها ، لولا النوى وطُمُوحها . .

نجده يذكر فى تخريجها ثمانية وثلاثين موضعاً . . يشير إليها جميعاً إشارة وافية ، تذكر المرجع وصاحبه ، والطبعة ، ورقم الصفحات ، وعدد الأبيات ، وما فيها من زيادة أو نقص . . ثم يبدأ الشرح بيتاً بيتاً ، وكلمة كلمة . . مستطرداً فى هذا الشرح ما شاء له الاستطراد . . فهو يبدأ بطبيعة الحال بالتفسير اللغوى ، ثم يتلوه بالشروح والروايات على حسب ورودها فى المراجع

ولنقف وقفةً عند القصيدة الرابعة . . يقول الشاعر :

يا لهف نفسى على الشبابِ ، ولم   أفقد به إذ فقدتُهُ . . أمَماَ

قد كنت فى ميعةٍ أُسرُّ بها   أمنَعُ ضيمى ، وأُهبط العُصُما

وأسحب الريط والبرودَ إلى   أدنى تِجارى ، وأنفض اللُّمَما

لا تغبط المرء أن يقال له   أمسى فلانٌ لعُمْرِهِ حكَمَا
إن سَرّهُ طول عيشهِ فلقد   أضحى على الوجهِ طولُ ما سَلِمَا
إنَّ من القومِ من يُعاشُ بهِ   ومنهم من ترى به .. دَسِمَا

وإنما ذكرت هذه الأبيات ، لما لها من منزلة خاصة فى نفسى ، إذ كانت أول ما عرفت الشاعر ، وأنا طالبٌ ثانوىٌّ . . وهى مع ذلك أبيات أصيلة ، تدلُّ على روعة هذا الشعر الجاهلى ، وتُعطى صورةً واضحة المعالم لتلك الحياة الجميلة الطبيعية غير المتكلفة .. وهى قصيدة تدل على أن الشاعر جاوز مرحلة الشباب ، ففقد روعة تلك الحياة الخصبة النضرة ، وان كان لم يفقد بذلك شيئا من شخصيته البارزة ، وتفوّقه على أقرانه . .

ويروى البيت الثالث : « إذ أسحب الرَّيط والمروط . . » وهو ماحفظته ، ويرجع المحقق روايته إلى حماسة أبى تمام ، والتنبيهات ، ونظام الغريب . . كما يرويه عن حماسة البحترى « وأسحب الذَّيل والمروط » .

ويشير المحقق إلى قوله فى البيت الرابع : « أمسى فلانٌ . . » فيقول فى المقدّمة ، وهو يذكر أن لكل شاعر قاموسا لفظيا ، خاصا به . . :

« وقد ينفرد واحد منهم باستعمال لفظ لم يستعمله غيره . . كما انفرد ابن قميئة بذكر لفظ « فلان » . . فى قصيدته رقم ٤ » . . .

ثم يقول :

« وانفرد كذلك بذكر مشعر لربيعة هو « نُفمة » [ص ٢٢] وورد فى بعض المراجع « بُقمة » ، وهذا المشعر لم نهتد إلى شىء عنه ، كما لم يهتد من قبلنا ناشر الطبعة الأوروبية » . .

والبيت الذى يشير إليه هو قول ابن قميئة :

ومنزلةٍ بالحج أُخرى عرفتها   لها نُفعةٌ ، لا يُستطاع بُرُوحُهَا

وتقول المخطوطة عقب هذا البيت :

« نُفعة : يعنى المشعر ، كانت ربيعة تقف به ، ليس لهم غيره » . .

ثم يقول المحقق إن هذا البيت لم يرد فى الاختيارين ، وصفوة الشعر ، وروى فى « منتهى الطلب : « لها بقعة » . . كما ذكر فى المقدمة . . ويعقب بأنه لم يجد شيئا فيما بين يديه من المراجع حول هذا المشعر لربيعة ، المسمى « نفعة » . .

وليست بين يدىّ المخطوطة التى حقق عليها الصيرفىّ ، فلا أدرى إن كان اللفظ هو « نُفعة » حقا كما قرأه ، أو أنه « بقعة » ، كما ورد فى منتهى الطلب ، وكما وجده . . على أنى أميل إلى الأخذ بما ورد فى منتهى الطلب . . فإن الشاعر يقول :

وإنى أرى دينى يوافقُ دينَهُمْ إذا نسكتْ أفراعُها وذبيحُها(١)

ومنزلةٍ بالحج أخرى عرفتها لها بُقعةٌ . . لا يستطاع بَرُوحُها

فالضمير فى « لها » عائد على « منزلة بالحج » . . وهذه المنزلة هى المشعر ، وليست « نُفعة » هى المشعر . . أما قول الشارح الراوى للمخطوطة : « نفعة : يعنى المشعر . . الخ » فهو يقصد أن هذه البقعة هى المشعر الذى هو منزلة الحج المشار إليها . . ولا يعنى أنه اسم عَلَم على مشعرٍ خاص . . وربما يؤيد هذا الرأى الذى أقوله ، أن المحقق على كثرة ما لديه من المراجع ، وعلى صدق الجهْد الذى يبذُله ، لم يجد شيئا حول مشعر لربيعة . . يسمى « نُفعة » !

* * *

وهنا نصلُ إلى ما أشرنا إليه من قبل . . من تشبيه الإبل فى سرعة سيرها بالسُّفُن ، عند هؤلاء الشعراء الجاهليين ، وبخاصة من اتصلت رحلاتهم ببحر العرب ، أو شط العرب ، أو الخليج العربىّ ، أو بحر اللؤلؤ . . كما يعرف بكلّ هذه الأسماء . .

إن هذا التشبيه يستوقفنى ، ويروعنى حقا . .

لقد كنت أحفظ من قبل ، قول طرفة بن العبد :

كأنَّ حُدوجَ المالكيّةِ غدوةً خلايا سفينٍ بالنواصفِ من دَدِ

(١) فى المخطوطة « إذا نسكوا » ثم تقول المخطوطة بعده « ويروى نسكت ، وهو أجود » .

عدولّيةٌ . . أو من سفينِ ابن يامنٍ يجور بها الملاّح طوراً ويهتدى
يشقُّ حباب الماءِ حيزومُها بها كما قسم التربَ المفايلُ باليدِ !

كم فى هذه الأبيات الثلاثة من صورة شعرية جميلة ! فإن الحدوج هى مراكب النساء فوق الجمال ، كالهوادج ، يشبهها فى تأرجحها بالسفن العظيمة تجرى فى مجارى السّيل التى تشبه الأنهار . . والصورة التى فى ذهن الشاعر لهذه السفن إنما هى صورة السفن العدولية ، المنسوبة إلى قرية عَدْولَى . . وما أجمل قول الشاعر «يجور بها الملاّح طوراً ويهتدى» ! . . إنها صورة لايعرفها إلا من ركب البحر ، وعرف كيف تتمايل السفينة بركابها ، فتتمايل معها النجوم فى مسالكها ، فيضل الملاّح طريقه حينا ، ثم يعاود الرشد فيهتدى إليه من جديد . . كما أن الصورة فى البيت الثالث لا تقلُّ جمالا ، ففيها مقابلة بين صدر السفينة يشق الماء قسمين ، وبين هذه اللعبة البدوية ، يشق فيها اللاعبون الرمال المهيلة بأيديهم قسمين أيضاً !

وهذا عمرو بن قميئة يشبه العير وهى تجيز مسرعة بصاحبته . . بالسُّفُن العدوليةِ ، وهى تروح من ميناء أوال أو البحرين كما مرَّ بنا . .

وقبل أن نشير إلى الشواهد التى ذكرها المحقق على ورود هذا التشبيه بكثرة لدى أولئك الشعراء . . ننظر معاً إلى هذه القصيدة اللامية ، التى ذكر فيها عمرٌو تشبيهه وهو يذكر صاحبته « تُكْتَم »(1) وقد هجرته ، لما رأت من تغيُّر حاله ، وما خلقت منه أحداث الأيام ، وصروف الليالى . . ومطلعها :

إن قلبى عن تُكْتَمٍ غيرُ سالِ تَيَّمتنى . . وما أردت وصالى
هل ترى عِيرَهَا . . تجيز سراعا كالعدولىِّ . . رائحاً من أوَالِ ؟

فهذه قصيدة تجيش بالعاطفة الفيّاضة ، يذكر فيها الشاعر صاحبته تُكْتَم وأهلها ، وقد تحمّلوا عنه فرحلوا ، ومحبتهم هى بعد أن تيمت فؤاده . . وتركته واقفاً يودع هذه الركاب الموغلة فى الصحراء ، تتمايل هوادجها تمايل السفن فى بحر العرب . . تنزل بالمواضع التى ذكرها ، فى أوقات من النهار

(1) تُكتم اسم امرأة ، بنى على مالم يسم فاعله .
(2) التمسح : التمساح

والليل . . تجدُّ فى سيرها حينا ثم تستريح حيناً آخر . . ثم تتغلب عليه مشاعره وقد رأى فزع صاحبته لما رأت من تغير حاله . . والإشارة هنا أيضاً إلى كبر سنه ، لأنه راح يذكر بعدها ماتفعل الأيام والليالى بالمرء ، تُنحى عليه قُواها ، وتُقْصدُ سهامه ، وتُضعفُ قوته . . وليس ذلك كلُّه بعجيب ، إنما العجيب حقاً هو أن لكل حىٍّ أجلا لا ريب فيه . . فالتمساح ذو الجلد الملوّن فى الماء ، والوحش المعتصم برءوس الجبال ، وثور الوحش الأسود الشاحب المنفرد وحده فى الرمال البعيدة ، والبطل الأروع ، المدرَّع بدروعه . . كل أولئك يدركه الأجل ، ويصرعه الموت . .

يقف المحقق بنا عند وصف الإبل بالسفنِ . . فيذكر قول طرفة الذى مَرَّ بنا :

عدوليَّةً . . أو من سفين ابن يامنٍ   يجور بها الملاّح طوراً ويهتدى

ثم قول أبى دؤاد الإيادىّ :

هل ترى من ظعائنٍ باكراتٍ   كالعَدَوْلىِّ . . سيرُهُنَّ انقحامُ

ثم قول البحترى . يذكر أوال ، جزيرة البحرين :

شَدَّتْ على جمع الأحبةِ عَنْوَةً   يومْ الخميس ضُحىً سفينُ أُوَالِ !

ثم قول تميم بن أبىّ بن مُقبل :

مال الحداةُ بها لحائش قريةٍ   فكأنُها سفنٌ بسيفِ أُوَالِ

ثم قول المثقب العبدى :

وهنَّ كذاك حين قطعن فَلْجاً   كأنَّ حُمُولَهَنَّ على سفينِ

يُشبِّهْنَ السفينَ وهنَّ بُخْتٌ   عُرَاضَاتُ الأباهرِ والشئونِ

كأنَّ الكورَ والانساعَ منها   على قَرْوَاء ماهرةٍ دهينِ

يشق الماء جؤجؤُها ويعلو   غواربَ كلِّ ذى حَدَبٍ بطينِ

ثم قول امرئ القيس :

فشبّهتُهُمْ فى الآلِ لمّا تكمّشوا   حدائقَ دَوْمٍ ، أو سفيناً مُقَيَّرا

ثم قول عبيد بن الأبرص :

تبصّر خليلى ، هل ترى من ظعائنٍ   يمانيةٍ ، قد تغتدى وتَرُوحُ

كعوم سفينٍ فى غوارب لجةٍ   تُكفّئُها فى وَسْطِ دجلةَ ريحُ

ثم قوله أيضاً :

تبيَّنْ صاحبي ، أترى حُمُولا   يُشبّهُ سَيْرُهاَ عومَ السفين ؟

ثم قول المرقّش الأكبر :

لمن الظُّعُنُ بالضُّحَى طافياتٍ   شِبْهُهاَ الدومُ أو خَلاَيَا سفينٍ

ثم قول بشر بن أبى خازم :

فكأنّ ظُعْنَهُمُ غداةَ تحمَّلُوا   سُفُنٌ تكفّأُ فى خليجٍ مُغْرِبِ

وهذه الشواهد الكثيرة بقدر ما تدلّنا على قدرة هؤلاء الشعراء الجاهليين ، وإحاطتهم ، وحسن تصرّفهم فى هذا التشبيه واستعماله . . فإنها تدلّنا كذلك على قدرة محقق المخطوطة ، وحسن تصرفه فى تخريج هذه الشواهد من مظانّها الكثيرة ، وعرضها هذا العَرْض المشوّق ، الرائع . .

* * *

والقسم الثالث من هذا العَرْضِ السّريع ، نتحدّثُ فيه عن عَمَلٍ رائع حقا ، هو هذه الفهارس السّتة عشر . . وليست روعة هذه الفهارس فى كثرتها ، ولكنْ فى هذا الجديد الذى أضافه المحقق إليها ، فجعلها ذات فائدة علميّة محققة .

وإذا كنا لن نستطيع هنا أن نقف طويلاً عند كل فهرس ، فحسبنا أن نشير إلى بعض هذه الفهارس ذات الأهمية الخاصة . .

ومن أكثر هذه الفهارس أهمية فى نظرى ، الفهرسان الأخيران « معجم الشاعر » ، و« المعارف العامة » . .

فى « معجم الشاعر » (١٩ صفحة) جمع المحقق ثمانية وخمسين وثمانمائة من الكلمات والحروف التى استعملها الشاعر ، ليكشف عن أيها أكثر دوراناً على لسانه . . ولا نظن هذا المعجم إحصائيا بحتا ، فقد أعطانا المحقق أرقام الصفحات أمام كل كلمة أو حرف ، وبالرجوع إليها يمكن لنا أن نرجع بفوائد محققة . .

لقد وقفت مثلاً عند لفظ « أرنب » فوجدته مذكوراً فى موضعين من قصيدة واحدةٍ ، أبياتها أربعة وهى :

ليس طعمى طعمَ الأرانبِ إذ قـــلَّصَ درُّ اللِّقَاح فى الصِّـــنَّبْرِ
ورأيت الإماء كالجِعْثِنِ آلبا لى عكوفاً على قُرارةِ قِدْرِ
ورأيت الدخان كالوَدَعِ الأصـــحم ، ينباعُ من وراءِ السِّتْرِ
حاضرٌ شرُّكُمْ وخيرُكُمُ دَرُّ خَرُوصٍ من الأرانبِ . بِكْرِ !

واستوقفنى استعمال الشاعر للفظ الأرانب ، ولكنى وجدت فى الشرح مايدل على غرض الشاعر .. فإن ابن دريد يقول : « يقال للبكر فى أول بطنٍ تحملُهُ خَرُوس » . . والبكر التى لم تلد إلا مرّة واحدة ، وهو أقلّ للبنها ، وأضيق لمخرجه . . يقول الشاعر إنه كريم ، وليس بخيلاً . . فى صورة شعرية تمثل البيئة أصدق تمثيل !

وأما « المعارف العامة » . . فقد جمع فيه الشاعر مائة وسبعة وعشرين موضوعاً . أذكر مثلاً عليها قوله فى « الأرانب » أيضا . . ليتم لنا بذلك الربط بين الفهرسين ، والنظر فى تكامل العمل الذى قام به . . قال :

« ضربُ المَثَـل بِقلةِ درّها .

قال الجاحظ : ويزعمون أنه ليس شىء من الوحش ، فى مثل جسم الأرانب ، اقل لَبَناً منها ، ودُرُوراً على ولدٍ منها » . .

وقد لاحظت فى فهرس « الأحاديث النبوية » ذكره لكلمة « ضَبَائر » فى قول الشاعر :

على مُقْذَحِرَّاتٍ وهنَّ عوابسٌ ضبائر موت لا يُراح مُرِيحها

فقال فى تحقيقها من المقدمة :

« وانفرد باستعمال كلمة « ضبائر » أى جماعات (ص ٣٣) التى وردت فى بعض المراجع « صباير » ، وفسرت بأنها « قد صبرت للموت » .. وقال ناشر الطبعة الأوربية حين لم يهتد إلى وجهها إنها ربما كانت قلْباً لكلمة « ضرائب » .. وقد أوضحنا حقيقتها ، فقد وردت لفظة « ضبائر » فى الحديث النبوى الشريف » ..

وقال عند شرح البيت فى القصيدة :

« ضبائر : جماعات . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر قوما يخرجون من النار ضبائر ضبائر . كأنها جمع ضِبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضِبارة » ..

ثم ذكر الحديث الشريف فى الفهرس : « يخرجون من النار ضبائر ضبائر » ..

وقد ذكر فى هذا الفهرس أيضا من الحديث الشريف قول النبى عليه السلام : « لم يوجفوا عليه بخيلٍ ولا ركاب » .. عند شرح البيت :

سمونا لهمُ من أرضنا وسمائنا   نغاورهم من بَعْدِ أرضٍ بإيجافِ

وقد ضبط « بَعْد » بفتح البـاء ، ولعلّها بضمّها . لتصح صورة الغارة القادمة من بُعْد .. أما الإيجاف ، فقال إنه سرعة السّير ، وأشار إلى الحديث الشريف .. والذى نلاحظه هنا ان الحديث الشريف نفسه ، منظور فيه إلى قوله تعالى فى سورة الحشر : (وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتُم عليه من خيلٍ ولا ركاب ..) .

* * *

وبَعْدُ .. فقدوعدنا بالرجوع إلى المقدمة ، لوصل ما انقطع من حديثها .. وقد بقى منها ، مما تستحق الإشارة إليه موضوعان : « بحور الشعر التى استعملها الشاعر » و « منهج التحقيق الذى اتبعه المحقق » ..

وفى الموضوع الأول، تستوقفنى قصيدة تبدو مختلة الوزن، لعمرو بن قميئة، هى قوله :

يا رُبَّ من أسفاهُ أحلامُهُ أنْ قيل يوماً إن عمْرًا سَكُورْ

إن أك مسكيراً فلا أشربُ وَغْلاً، ولا يسلمُ منى البعير

والزقُّ مُلْكٌ لمن كان لَهُ والملكُ فيه طويل [و] قصير

فيه الصَّبُوحُ الذى يجْعلُنى ليثَ عِفِرِّينَ والمالُ كثير

فأول اللَّيْلِ فتًى ماجدٌ وآخر اللَّيْلِ ضِبْعانٌ عَشُور

قاتلكِ الله من مشروبةٍ لو أن ذا مرةٍ عنككِ صبور

وهذه القصيدة تذكرنى فى الحال بمعلقة عبيد بن الأبرص ومطلعها :

أقفر من أهله ملحوبُ فالقُطَّبيَّات فالذَّنُوبُ

فراكسٌ، فثعيلباتٌ فذاتُ فِرقين، فالقليب

والتى قال بشأنها أبو العلاء :

وقد يخطىء الرأى امرؤٌ وهو حازمٌ كما اختلَّ فى وزن القريضِ عبيدُ!

وقد عرض المحقق لموقف تشارلس لايل من هذه القصيدة، إذ تردّد أمامها، فاعتبر البيتين الأول والثانى من بحر السريع، وأن بقية الأبيات تخرج عن نسق هذا البحر بقلب نظام التفعيلتين الثانية والثالثة».

كما عرض لرأى كارل بركلمان. الذى يذكر فيه إن فن العروض كان يقف عند أولئك الشعراء القدامى على قواعد ثابتة، غير أبيات نجدها خارجة عن العروض الذى وضعه الخليل.. ثم يقول: « ويبدو أن هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة من النمو لم نقف على كنهها بعد»..

أما أبو حيان التوحيدى، فيذكر فى « الهوامل والشوامل».. رأياً أقرب إلى الصواب، عند ذكره قول المرقش :

لابنةِ عجلانَ بالطفِّ رسوم لم يتعفَّيْنَ، والعهدُ قديم

فيقول أبو حيان :

« وهى قصيدة مختارة فى المفضليات ، ولها أخوات لا أحب تطويل الجواب بايرادها . . كانت مقبولة الوزن فى طباع أولئك القوم ، وهى نافرة عن طباعنا، نظنُّها مكسورة . وكذلك قد يستعملون من الزحاف فى الأوزان التى نستطيبها ما يكون عند المطبوعين منا مكسوراً ، وهى صحيحة . والسبب فى جميع ذلك أن القوم كانوا يجبرون بنغماتٍ يستعملونها مواضعَ من الشعر يستوى بها الوزن . ولأننا نحن لا نعرف تلك النغمات إذا أنشدنا الشعر على السلامة ، لم يحسن فى طباعنا . . »

أقول : إن هذا الرأى أقرب إلى الصواب ، وبخاصة فى قوله إنهم « كانوا يجبرون بنغمات يستعملونها مواضعَ من الشعر يستوى بها الوزن » . . ولهذا عندى تجربة خاصة . . فقد لاحظت عند زيارتى للجزيرة العربية ، واستماعى إلى طريقة إلقاء الشعر عند الشعراء البادينَ حتى اليوم ، أنهم يتغنون بالشعر ، ويتمايلون له ، ويأتون فى ذلك بنغم ، على طريقة تخالف طريقتنا السوية . . فكأن النغم عندهم هو الأساس فى الشعر . . فاذا أضفنا إليه ما يرد عادة فى شعرهم من الزحاف ، بل إذا نظرنا إلى بحرٍ من الشعر هو « الخفيف» ووزنه « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن» فوجدنا أن أكثر شعراء العربية يخرجون عليه ، فيجعلون « منفعلن » بدلا من « مستفعلن » تخفيفا . . أقول إذا نظرنا لكل ذلك وجدنا صحة القول ، بأنهم إنما كانوا يتغنون بالشعر ، ولا يلقونه إلقاءً كإلقائنا اليوم . . وهكذا أصبح للنَّغم مكان من الوزن . . وأصبح يمكن لهذا النغم أن يسدّ الفجوات التى تنشأ عن الزحاف ، أو المخالفة بين التفعيلات ، أو غير ذلك . .

على أننى أضيف إلى ذلك فيما يختصُّ بقصيدة عمرو بن قميئة . . أننى أشعر فيها بإدلال من الشاعر .. وموضوعها يساعد على ذلك الإدلال ، ويتطلبه . . فهو يتحدث عن الشراب الذى يصل فيه إلى حدّ السكر ، حتى يتندّر به المتندّرون . . ولكنه مع ذلك لايرى فيه ما يعيبه . . وإن كان ينحى باللائمة على ذلك الشراب نفسه . . فهو الفتى الماجد فى أول الليل ، يصنع منه الشراب فى آخره ضبعاً

أعرج . . قاتل الله الخمر ، وإن كان صاحبنا لا يستطيع أن يصبر عنها !

قاتلكِ الله من مشروبةٍ   لو أن ذا مرّةٍ عنك صبور

أليس فى التغنى بهذه الأبيات ، والتطريب بها . . ما يشعرك بادلالِ شاربٍ ثَمِلٍ ؟ ! . .

* * *

ولا يبقى بذلك إلا حديث منهج التحقيق . . ولا نريد أن نفيض فيه . . فحسبنا أن يرجع القارئ بنفسه إليه ، فيجد فى المقدمة ، وفى الديوان ، وفى التعقيبات أنه أمام عمل كبير . . وإن كل حديثنا هذا المسهب عنه ، ليس إلا قطرةً من بحر !

وإذا كان النقد إظهاراً للمحاسن . . فنحن نريد أن ننقد صديقنا الصيرفىّ نقداً لاذعاً . . فنقول إنه قد زاد من هذه المحاسن !

لقد أحسسنا فعلاً بتزيُّده فى بعض المواضع ، ولكنه المنهج المبسوط الواضح الذى التزم به .

وقد أحسّ صديقنا ، أننا لا شك واقفون عند هذا التزيُّد ، ولو وقفة قصيرة .. فأجاب عنه فى المقدمة .. فقال إنه أراد بذلك أن يربط بين صور العصر وألفاظه ربطاً متصلاً متلاحماً . . كما أراد من وراء ذلك التزيُّد تقريب هذا الشعر إلى أبناء العربية الذين بعدوا عن مناهل أدبهم وأصوله القديمة ، وليعايشوا الشاعر ، وشعراء عصره — حين يقرأون له — معايشة ظاهرة الملامح ، واضحة المعالم !

* * *

وأخيراً ، فنحن حين نهنئ صديقنا العالم المحقق الأستاذ حسن كامل الصيرفىّ على هذا الجهد الذى يضاف إلى جهوده السابقة فى خدمة إحياء تراثنا الشعرى .

نجدنا مدفوعين إلى تقديم الشكر جزيلا إلى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وإلى السيد الأستاذ الشاعر المفكر الدكتور مختار الوكيل ، مدير المعهد ، وإلى القائمين عليه أن أتاحوا لنا فرصة الاستمتاع بهذا العمل الجليل القدر ، من بين أعمال كثيرة أخرى ، يشرفون على إخراجها ونشرها . . صادقين فى خدمة تراثنا العربى الأصيل !

والله الموفق . . وهو الهادى إلى سواء السبيل .

أنباء وآراء

أفلام اليونسكو فى معهد المخطوطات

بناء على الاتفاقية المبرمة بين منظمة اليونسكو وبين جامعة الدول العربية فى عام ١٩٦١، والتى نصت فى أهم بنودها على[1] :

أن يوضع تحت تصرف معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وبصورة دائمة نسخة ثانية من المخطوطات التى تصورها الوحدة المتنقلة التابعة لليونسكو من مكتبات ودور الوثائق القومية فى البلاد العربية والتى تتعلق بتاريخ تلك البلاد وتراثها الثقافى.

بناء على هذا فقد قامت وحدة التصوير المذكورة بزيارة للمملكة المغربية عام ١٩٦١ وقامت بتصوير ١٢٠٠ مخطوطة من ثلاث مكتبات شهيرة بالمغرب هى :

١ — مكتبة الرباط.

٢ — مكتبة عبد الحى الكتانى.

٣ — مكتبة الزاوية الحمزاوية.

ثم انتقلت الوحدة بعد ذلك إلى ليبيا، وصورت حوالى ١٥٠ مائة وخمسين مخطوطة من مكتبة طرابلس، ثم عددا كبيراً جدا من الوثائق التى تتعلق بعهد الاحتلال الإيطالى وغيرها من الوثائق الأخرى.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى سوريا، ولكنها لم تتمكن إلا من تصوير مالا يزيد عن خمس وعشرين مخطوطة.

وجاءت الوحدة بعد ذلك إلى مصر عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ واستغرقت ستة أشهر فى تصوير المخطوطات فى دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة

(١) انظر النص الكامل للاتفاقية فى المجلد السابع ١٥٣/٢ من هذه المجلة.

بها ، ثم مدت عملها لفترة ستة أشهر اخرى لتصوير المكتبة الأزهرية ومكتبات الأروقة فى الجامع الأزهر ، وفيما يلى بيان بما صورته من تلك المكتبات :

٥٣٤	مخطوطا فى ١٣٥ فيلما من مقتنيات دار الكتب		
٥٤٢	»	» ١١٦ » » »	المكتبات الملحقة بدار الكتب
٤٩٨	»	» ١٧٤ » » »	المكتبة الأزهرية
٤٥٤	»	» ١٨٦ » » »	الأروقة الأزهرية

هذا ولقد تم إيداع النسخة الموجبة لهذه الأفلام كلها فى معهد المخطوطات ، وبناء على الاتفاق السالف الذكر والذى ينص على أن يقول المعهد بفهرسة هذه الأفلام ووضعها تحت أنظار الباحثين والعلماء فلقد قام المعهد فى عام ١٩٦٥ بتعيين ثلاثة من المفهرسين المتخصصين للقيام بفهرسة هذه الأفلام وتصنيفها توطئة لطبعها ، وفعلا قام الأساتذة المفهرسون بتصنيف وفهرسة عدد كبير منها رغم العقبات الكثيرة التى صادفتهم أثناء العمل والتى كان من أهمها :

أولا : الحالة السيئة التى كانت عليها المخطوطات الأصلية والتى ظهرت فى التصوير ، فقد أصابت الأرضة والرطوبة والتآكل الكثير من هذه المخطوطات .

ثانيا . ضياع أول وآخر صفحات بعض هذه المخطوطات مما يجعل البت فى معرفتها متعذراً فى كثير من الأحيان .

ثالثا : ورد قَدْرٌ من هذه المخطوطات على أنه كتب مستقلة ، وبالبحث كان يظهر أنها أوراق دشت جلدت معا ، أو مجموعة بها كتب صغيرة أخذت اسم الكتاب الأول بها .

ورغم كل هذه العقبات التى أمكننا التغلب عليها بالكثير من الجهد والصبر ، فقد بدأ المعهد فى تصنيف هذه الأفلام حسب فنونها ، وأعد مجموعة كبيرة من

افلام التاريخ والتراجم وغيرها من الفنون يبلغ عددها حوالى ٥٠٠٠ مخطوط سوف تطبع فى خمسة أجزاء من الفهارس .

وقد روعى فى الفهرسة ما يتبعه معهد المخطوطات دائماً من أن تكون البيانات عن كل كتاب مستوفاة تماماً وأن يذكر المرجع الذى ذكر فيه الكتاب فى بروكلمان أو غيره من كتب التراجم الأخرى .

على أنه تجدر الإشارة إلى أن المعهد قد أضاف إلى الكتب التى وردت له عن طريق اليونسكو أفلاماً أخرى كان قد قام بتصويرها من بلاد العالم المختلفة ، وذلك إتماماً للفائدة وتعريفا للعلماء والباحثين بها ، ويمكن للمطلع على الفهارس أن يعلم الفرق بين هذه وتلك بما وضعناه من اسم اليونسكو UNESCO تحت كل فيلم صور بواسطة وحدة التصوير التابعة لهذه المنظمة الدولية .

ولقد قصدنا إلى ذلك تنويها بما قامت به من جهود لتصوير التراث العربى وجمعا له فى مكان واحد على قدر المستطاع .

وتطبيقا لما ورد فى الاتفاق الذى أبرمته جامعة الدول العربية مع منظمة اليونسكو من وضع فهرس للمخطوطات التى يصورها اليونسكو طبقا لتلك الاتفاقية .

وإننا لنأمل أن تصدر هذه الفهارس تباعا إن شاء الله .

محمد مرسى الخولى